قصة كل سورة



د. محمد جهاد السويط

حصون



قصة لكل سورة

قصة لكل سورة

د. محمد جهاد السويط



آفـاق للنشر 2026 م

قصة لكل سورة
الطبعة الثانية 1447 هـ - 2026 م
396 ص؛ 14 × 21 سم
تأليف: د. محمد جهاد السويط
إخراج فني: هند محمود كمال
ردمك: 978-1-78752-757-7

جميع الحقوق محفوظة للناشر



Mob.: +965 51000197
info@aafaqpublishing.com
www.aafaqpublishing.com

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو وا سطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي» أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي **آفاق للنشر**.


بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أنزل القرآن هُدًى للناس وبيِّناتٍ من الهُدى والفُرقان، وجعل فيه من القصص أعظم العِبر، ومن المواعظ أنفع الزاد، والصلاة والسلام على من بُعث رحمةً للعالمين، محمدٍ النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

هذا الكتاب محاولة متواضعة للاقتراب من كتاب الله العظيم، من زاوية تجمع بين التأمل والتدبر، وبين الحكاية والعبرة، نستخرج من كل سورة قصة أو مشهدًا أو عبرةً قصصية تُضيء لنا الطريق، وتربطنا بالمعاني العميقة التي تنبض بها آيات القرآن.

ومما هو معلومٌ عند أهل العلم أن ترتيب نزول السور والآيات ليس محلَّ اتفاقٍ قطعي، إذ لم يَرِد فيه نصٌّ جامعٌ صريح، وإنما نُقل عن الصحابة والتابعين والأئمة اجتهاداتٌ متعدّدة، اعتمدت على الروايات، والسياق التاريخي، وأسباب النزول، والقرائن الزمنية. ولهذا اختلفت أقوال العلماء في ترتيب النزول اختلافًا مشهورًا.

والمقصود من هذا الترتيب ليس الجزم ولا القطع، وإنما تقريب صورة نزول القرآن، ومرافقة القارئ لرحلة الوحي مرحلةً مرحلة، ليرى كيف كانت السور تنزل تعالج واقعًا، وتبني عقيدة، وتربّي نفوسًا، وتوجّه أمةً من الظلمات إلى النور.

ليس المقصود من هذا العمل تفسيرًا شاملًا، ولا تأريخًا تفصيليًّا للأحداث، بل هو إبحار في بحر القصص القرآني، لا نغوص فيه إلا بمقدار ما يفتح لنا أبواب الفهم، ويحرّك فينا مكامن الوعي، ويوقظ في قلوبنا جذوة الإيمان.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به القارئ صغيرًا كان أو كبيرًا، وأن يجعل من قصص القرآن نورًا يُضيء لنا الدرب في زمن كثرت فيه الظلمات.

والله وليُّ التوفيق.

سُورَةُ الْعَلَقِ

هي سورة مكية، عدد آياتها ١٩ آية، وهي أول ما نزل من القرآن الكريم على النبي ﷺ في غار حراء، فكانت بداية الرسالة الإسلامية.

قصة نزول السورة ومضمونها

في مكة، وقبل البعثة، كان النبي ﷺ يحب الخلوة والتفكر، فكان يذهب إلى غار حراء أعلى جبل النور، بعيدًا عن ضجيج الجاهلية، ليتعبَّد على ما تبقَّى من ملة إبراهيم، وفي إحدى ليالي رمضان، جاءه جبريل عليه السلام، من هنا بدأت القصة:

قال جبريل للنبي ﷺ: «اقرأ»، فقال النبي ﷺ: «ما أنا بقارئ»، فضمَّه جبريل ثلاث مرات، وقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣﴾.

كانت هذه اللحظة بداية نزول القرآن الكريم، وبداية رسالة النبي ﷺ الخاتمة، ثم عاد النبي ﷺ إلى بيته يرتجف من الموقف المهيب، وقال لخديجة رضي الله عنها: «زملوني زملوني»؛ (أي: غطُّوني)، وأخبرها بما رأى، فطمأنته، وقالت له: «واللهِ لا يخزيكَ الله أبدًا، إنك لتصلُ الرَّحِم،

وتحمل الكَلَّ، وتُكسِب المعدوم»، ثم أخذته إلى ورقة بن نوفل (ابن عمها وكان نصرانيًّا)، فأخبره ورقة أن: «هذا هو الناموس (جبريل) الذي نزل على موسى، وإنك نبي هذه الأمة».

رَفْض قريش وبداية الصراع

عندما بدأ النبي ﷺ يدعو الناس، وقف في وجهه أبو جهل، وكان من أشد أعداء الإسلام وكان يقول بصوت عالي: «لئن رأيت محمدًا يسجد عند الكعبة لأطأنَّ عنقه»... ذات مرة رأى النبي ﷺ يصلي عند الكعبة، عندما ذهب ليطأ رأس النبي ﷺ، رأى خندقًا من نار يفصل بينه وبينه، فارتعب وتراجع، فلما سألوه عن سبب تراجعه قال: رأيت نارًا وأهوالًا وأجنحةً للملائكة حالت بيني وبينه ولم أستطع الاقتراب.. فردَّ الله عليه في السورة: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ۝١٠﴾... ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦﴾؛ أي: لنقبضن على مقدَّم شعر رأسه إذلالًا له وقهرًا.

الفوائد والقِيَم من السورة

- بداية الإسلام كانت بالعلم، «اقرأ» هي أول كلمة من وحي السماء.
- الطغيان يبدأ حين يظن الإنسان أنه مستغنٍ عن الله.
- من يمنع الصلاة ويحارب الدين، فقد توعده الله بنفسه.
- خديجة رضي الله عنها كانت أول من آمن بالنبي ﷺ ودعمه.

سُورَةُ الْقَلَمِ

هي سورة مكية، وهي من أوائل السور نزولًا على النبي ﷺ وعدد آياتها ٥٢ آية، تؤكد براءة النبي ﷺ من تهمة الجنون وتُثني على علوِّ خُلقه، وتعرض قصة أصحاب الجَنّة الذين بَخِلوا فابتُلوا بخسارة زرعهم.

قصة نزول السورة ومضمونها

في مكة، وقف النبي محمد ﷺ يدعو قومه إلى الله بالحكمة والرحمة، لكنه كان يُواجَه يوميًّا بالسخرية، والشتائم والافتراءات. قالوا عنه: مجنون! قالوا: شاعر! قالوا: ساحر! وكان قلبه ﷺ يتألَّم... لكنه لا يرد عليهم، بل يرفع رأسه للسماء. فأنزل الله أول آيات من السورة: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾. كأن الله يقول له: «اصبر، لقد أقسمتُ لك بالقلم، رمز العلم والخلود، أنك لست كما يزعمون».

ثم رسم الله صورة عجيبة لرجل يُكثر من المال، ويتكلم بكبر، ويطعن في المؤمنين: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾.

وقيل إن هذه الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة، أو من يشبهه. لكن القرآن لم يذكر اسمه، كأنه يقول: «كل من يحمل صفاته هو المقصود».

قصة أصحاب الجنَّة «البستان»

كان هناك إخوة ورثوا بستانًا ضخمًا مثمرًا عن أبيهم الصالح، الذي كان يتصدق منه للفقراء كل موسم حصاد. لكن الإخوة لم يكونوا مثله، قال أحدهم: «هذا العام لن نُعطي الفقراء شيئًا!.. نخرج في الفجر قبل أن يأتوا إلينا»، واتفقوا جميعًا، ومضوا إلى جنتهم. لكن ما الذي حدث؟

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾؛ أي: صارت كأنها أرض محروقة سوداء!

فلما وصلوا، قالوا مذهولين: ﴿إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾، واعترف أحدهم أن: ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾. قالوا: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾، لكن الاعتراف جاء بعد فوات الأوان.

الفوائد والقيم من السورة

- النبي ﷺ على خلق عظيم، وما جاء به ليس جنونًا بل وحي.
- فضح صفات المتكبرين والمنافقين.
- قصة أصحاب الجنة تعلمنا أن البخل يؤدي للهلاك، والصدقة سبب البركة.
- من يرفض السجود والطاعة في الدنيا سيُحرَمها في الآخرة.
- الصبر والثبات على الحق مفتاح النجاة.

سُورَةُ الْمُزَّمِّلِ

سورة المزمل من السور المكية، وعدد آياتها ٢٠ آية، وهي من أوائل السور التي نزلت على النبي ﷺ، وتحديدًا في بداية البعثة.

قصة نزول السورة ومضمونها

في ليلةٍ ساكنة من ليالي مكة، بعد أن نزل أول وحي من السماء، عاد النبي محمد ﷺ إلى بيته يرتجف؛ قلبه ممتلئ بالدهشة، وعيناه دامعتان من اللقاء الجليل. قال لزوجته خديجة رضي الله عنها: «زملوني، زملوني!»؛ (أي: غطوني، غطوني) من شدة ما أصابه من الخوف والرهبة.

فغمرته خديجة بلُطفها وغطَّته بثوبٍ دافئ، وجعلت تُطمئنه. وفي تلك اللحظة، جاءه نداء من السماء: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١﴾؛ أي: يا من تغطيت بالرداء، قد آن الأوان للنهوض.

ثم جاءه الأمر: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣﴾، كأن الله يقول: «يا محمد، طريق النور ليس سهلًا، قم، وصلِّ، وتهيَّأ، فالرسالة تحتاج إلى قلب قوي وروح موصولة بالله».

القرآن وقت السكون

قال له الله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾؛ أي: هذه الرسالة ليست عادية، إنها ثقيلة، عظيمة، تحتاج إلى قلب متين. ولذلك، أفضل وقت لحملها هو: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾؛ ففي الليل، حين ينام الناس تشرق الأرواح.

وبعد أن أصبح القيام عادةً في حياة النبي ﷺ وأصحابه، نزلت آيات في آخر السورة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾؛ أي: خفف الله عنهم، لكن بقيت الروح: قيام، تلاوة، صبر، وصدق.

الفوائد والقيم من السورة

- تهيئة النبي ﷺ للرسالة العظيمة.
- أهمية العبادة والصلاة (وخاصة قيام الليل) للمؤمنين.
- الصبر على أذى الناس في سبيل الدعوة.

سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ

هي سورة مكية، عدد آياتها ٥٦ آية، وهي من أوائل السور التي نزلت على النبي ﷺ بعد فترة الوحي الأولى، وجاءت لتعلن بداية المهمة النبوية الجهرية، وتأمره بالاستعداد الكامل للدعوة.

قصة نزول السورة ومضمونها

كان النبي ﷺ قد عاد من لحظة الوحي الأولى، قلبه يرجف من هيبة ما رأى وسمع، فدخل بيته يطلب الدفء والسكينة، وتدثّر بثوبه... كمن يحتمي من ارتجاف الروح.

لكن السماء لم تتركه طويلًا، جاءه النداء سريعًا، قصيرًا، قويًا: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾، كأنها كلمة فاصلة: انتهى زمن الاختباء تحت الغطاء، قم، ليس وقت راحة، بل وقت رسالة.

أول تعليمات القائد

لم يكن الأمر مجرد «اذهب وقل»، بل كان دستورًا مختصرًا لمهمة العمر: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾، واجعل الله أكبر من قريش، وأكبر من الأذى، وأكبر من خوفك: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾.

طهارة ظاهر وباطن، لأن حامل الدعوة يجب أن يكون نقيًّا: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾، واهجر الأصنام والباطل، لا تساوم عليه أبدًا: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾.

لا تجعل دعوتك تجارة، ولا تنتظر مقابلًا من الناس: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾، ستأتي عواصف، وصبرك سيكون سلاحك.

كانت هذه الكلمات كأنها تجهيز درعٍ قبل نزول المعركة.

رجل من كبار مكة يفكّر، ثم يختار العناد

ثم تُسلّط السورة الضوء على مشهد عجيب: رجلٌ من كبار مكة، سمع القرآن، وتأثر، ثم بدأ الصراع داخل قلبه. يفكر، يقدّر، يعبس، يقطّب، يبحث عن كلمة يُسقط بها القرآن من قلوب الناس: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢﴾.

ثم يقولها أخيرًا، لا لأنها حق، بل لأنها حيلة: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝٢٥﴾، وهنا يأتي الحكم الإلهي المخيف: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦﴾.

سقر، ليست نارًا عادية، نارٌ «تُبقي الألم حيًا»، لا تترك ولا ترحم: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝٢٩﴾.

سؤالٌ يهزّ القلوب، لماذا يدخل الناس النار؟

ثم تفتح السورة بابًا من أعمق الأبواب: تدخل إلى جهنم، وتسأل أهلها: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾، فيأتينا جوابهم الصريح، كأنه اعتراف متأخر: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾.

أربعة أسباب، كافية لتصنع الهلاك: ترك الصلاة، ترك الرحمة، الغرق في الباطل، تكذيب الآخرة.

وفي النهاية تُعلن الحقيقة الهادئة: الهداية ليست مستحيلة، لكنها تحتاج إلى قلبٍ يريدها: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾﴾.

الفوائد والقيم من السورة

- أول أمر للنبي ﷺ بالدعوة والبلاغ.
- كشف عناد الكفار وتكبرهم رغم معرفتهم بالحق.
- بيان صفات أهل النار، وعلى رأسها: ترك الصلاة، البُخل بالصدقة، التكذيب بالآخرة.

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

سورة الفاتحة مكية (على الأرجح)، أي نزلت قبل الهجرة، وبعض العلماء قالوا إنها نزلت مرتين: مرة في مكة، ومرة في المدينة، ويُقال إنها أول سورة مكتملة نزلت على النبي ﷺ.

قصة نزول السورة ومضمونها

في لحظةٍ عظيمة، حين بدأ نور القرآن يتنزَّل على النبي محمد ﷺ، جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ وقال له: «أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ حرفًا منهما إلا أُعطِيتَه». (رواه مسلم)، حديث خاصٌّ بينك وبين الله.

قال النبي ﷺ: قال الله تعالى: «قسمْتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين...».

فإذا قلتَ في الصلاة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قال الله: «حمدني عبدي»، وإذا قلتَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، قال: «أثنى عليَّ عبدي».

وإذا قلت: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قال: «هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل»، وإذا قلت: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، قال: «هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل».

الفوائد والقيم من السورة

- لا تبدأ شيئًا إلا باسم الله.
- طريقك إلى الله يبدأ بالحمد، ويمر بالاستعانة، وينتهي بالهداية.
- لو ضِعْتَ، اقرأ الفاتحة تجد الطريق.
- هذه السورة وحدها تكفي لتغيير قلبك.

سُورَةُ الْمَسَدِ

سورة المسد (وتُعرف أيضًا بسورة «تَبَّت») سورة مكية، نزلت في بداية الدعوة، وعدد آياتها ٥ آيات.

قصة نزول السورة ومضمونها

كان هناك رجل يلقب بـ«أبي لهب»، واسمه الحقيقي عبد العُزَّى بن عبد المطلب، وهو عمُّ النبي ﷺ، لكنه كان من أشد الناس عداوة له، رغم قرابته عندما نزل أَمْرُ الله للنبي ﷺ أن يُنذر عشيرته الأقربين، صعد النبي ﷺ على جبل الصفا، وجمع قريشًا، وقال: «يا بني عبد المطلب، يا بني عبد مناف، أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلًا وراء هذا الوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟». قالوا: نعم. ثم قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». فصرخ أبو لهب غاضبًا، وقال: «تَبًّا لك! ألهذا جمعتنا؟».

فنزلت السورة فورًا: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، وكانت إعلانًا صريحًا بهلاك أبي لهب. من هي ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾؟ هي أم جميل، زوجة أبي لهب، واسمها أروى بنت حرب، أخت أبي سفيان.

كانت تؤذي النبي ﷺ بالكلام والشتائم، وتضع الشوك والحطب في طريقه ليلًا، وتحمل الحطب بالمعنى المجازي، وأيضًا كانت تحمل النميمة، وتوقد نار العداوة، ولهذا قال الله عنها: ﴿فِي جِيدِهَا﴾: عنقها ﴿حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾؛ أي: حبل من ليف خشن، أو كناية عن ذلها وعقابها في النار.

الفوائد والقيم من السورة

- لا تنفع القرابة بدون إيمان، أبو لهب هو عم النبي ﷺ، لكنه في النار.
- العداوة للحق لها عاقبة وخيمة.
- المال والجاه لا يحميان من عذاب الله.

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

سورة التكوير من سور القرآن المكي، وعدد آياتها ٢٩ آية، وتُعد من أوائل السور التي نزلت في العهد المكي، وهي ممتلئة بصور رهيبة ليوم القيامة، تهز القلب وتوقظ الغافلين.

قصة نزول السورة ومضمونها

في صحراء مكة، كان النبي محمد ﷺ ينادي الناس: «اتقوا الله، آمنوا بالقرآن، هذا وحي من عند الله!». لكنهم سخروا، وكذَّبوا، وقالوا: «أهذا هو من يدَّعي أنه نبي؟».

فأنزل الله عليهم سورة تزلزل القلوب، وتهزُّ الجبال، وتصف مشهد النهاية. إذا حدث هذا فاعلم أن القيامة قد قامت! قال الله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾؛ أي: لُفَّت مثل الورقة، واختفى نورها!

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾: النجوم تتساقط، وتنطفئ، كأن السماء تنزف ضوءها!

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾: الجبال الضخمة تتحرك كأنها غبار!

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾: حتى النوق الحُبلى التي كانت أغلى ما يملك العرب تُترك، لا قيمة لها!

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾: الحيوانات تترك الغابات، وتُجمع من هول ما يحدث!

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾: البحار تفور، كأنها نار مشتعلة!

وإذا الطفلة تكلَّمت من المشاهد التي تُقطِّع القلب: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾، الطفلة التي دفنها أبوها حيَّة -كما كان يفعل أهل الجاهلية- ستتكلم! وتشكو إلى الله! هذا القرآن وحيٌ حقيقي.

يخاطب الله المكذبين

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠﴾؛ أي: هذا القرآن ليس كلام مجنون أو شاعر، بل وحي أُنزل على قلب النبي ﷺ من السماء، بلسان جبريل عليه السلام، الأمين القوي. النبي رأى جبريل على صورته الحقيقية ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾، النبي محمد ﷺ رأى جبريل على صورته، عظيمًا، له ستمائة جناح، يملأ الأفق كله!

فكيف يجرؤون على التكذيب؟ فلينتبه قلبك الآن.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾: إلى أين تفرُّون من الحق؟ القرآن واضح، والآخرة آتية، والرسول صادق.

الفوائد والقيم من السورة

- تذكير مرعب بيوم القيامة وصور الفناء الكوني.
- إدانة الظلم الاجتماعي مثل وأد البنات.
- إثبات صدق النبي ﷺ وأنه ليس مجنونًا.
- تأكيد أن القرآن وحي إلهي وليس من كلام البشر.

ملاحظة

قال النبي ﷺ عن سورة التكوير مع سورتين أخريين: «من سرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين، فليقرأ: (إذا الشمس كورت)، و(إذا السماء انفطرت)، و(إذا السماء انشقت)». (رواه الترمذي).

سُورَةُ الْأَعْلَى

سورة الأعلى سورة مكية، عدد آياتها ١٩ آية، وتُعد من أوائل ما نزل على النبي ﷺ، وهي سورة عظيمة في معانيها، خفيفة في لفظها، قوية في رسالتها، تذكِّر بعظمة الله، وبأن الدنيا فانية، والآخرة هي الباقية.

قصة نزول السورة ومضمونها

في الليالي المشرقة بمكة، كان النبي ﷺ يجلس بين أصحابه في دار الأرقم، يعلِّمهم آيات الله.

القلوب كانت عطشى للنور، والصدور كانت تضيق من بطش المشركين، فجاءهم الوحي بكلماتٍ تشع طمأنينة: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، كأنها دعوة أن يرفعوا أبصارهم فوق هموم الأرض، ليتذكروا أن فوق كل شيء هناك الرب الأعلى، العظيم الذي لا يعلوه أحد.

ثم يذكِّرهم أن هذا الرب هو الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، خلق كل شيء في أجمل صورة، وأعطى كل مخلوق ما يحتاجه ليعيش، وهداه إلى طريقه.

فهو الذي أنبت المرعى الأخضر، ثم جعله هشيمًا يابسًا، ليذكِّرهم بفناء الدنيا وسرعة زوالها.

وكانت مكة يومها تعجُّ بالكفار الذين يكذبون بيوم القيامة، ويظنون أن حياتهم لن تتغير.

فنزلت الآيات تذكِّر النبي ﷺ وتطمئنه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ۝٦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾؛ أي إن الله هو الذي حفظ القرآن في قلبك، فلا تخشَ نسيانه.

وهو يعلم ما يظهر الناس وما يخفون في قلوبهم، وسيجازي كل إنسان على عمله.

ثم أمره أن يذكِّر الناس، فإن التذكير ينفع المؤمنين، أما من أعرض وكذب فسيحترق في النار الكبرى، لكن من يخاف الله ويزكِّي نفسه، ويذكر ربه، ويقيم الصلاة، فهو الفائز الذي اختار الآخرة على الدنيا.

هذه الحقائق ليست جديدة، فقد جاءت في صحف الأنبياء من قبل؛ صحف إبراهيم وموسى.

وهكذا، كانت سورة الأعلى رسالة حب وثقة من السماء، تعلِّم المؤمن أن يسير في الدنيا وهو يسبِّح ربه، ويعمل للآخرة، ويعلم أن الحياة قصيرة.

الفوائد والقيم من السورة

- تمجيد الله الخالق الأعلى.
- طمأنة النبي ﷺ أن الله سيعينه في تبليغ القرآن.
- وصف أحوال الناس بين من يخشى ويتذكر، ومن يُعْرِض ويشْقَى.
- التأكيد على أن الآخرة هي الباقية، والدنيا فانية.

سُورَةُ اللَّيْلِ

سورة الليل سورة مكية، تتكون من ٢١ آية، وهي من السور التي تُركِّز على سلوك الإنسان ومسؤوليته في اختيار طريقه في الحياة: إمَّا طريق الخير والعطاء، وإما طريق الشر والبخل. وتَعرِض نموذجين متضادين من الناس، وتربط بين أفعالهم وجزائهم في الدنيا والآخرة.

قصة نزول السورة ومضمونها

السورة مرتبطة بشخصيتين حقيقيتين من أهل مكة؛ أحدهما صاحب خير (أبو بكر الصديق)، والآخر شخص معادٍ للإسلام (أبو جهل أو أمية بن خلف). ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ۝٤﴾؛ أي: كما أن الليل يختلف عن النهار، والذكر عن الأنثى، كذلك أعمال الناس متباينة جدًّا، منهم من يعطي ويتقي، ومنهم من يبخل ويكذب.

نزلت في رجل صالح، وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، حين أعتق بلال بن رباح من العذاب الشديد، أنفق ماله في سبيل الله، لا يريد إلا وجه الله، فأنزل الله فيه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝٦

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۝٧﴾؛ أي: من أعطى ماله، واتقى الله، وصدَّق بالجنة، فإن الله ييسره إلى الخير.

ونزلت في رجل بخيل كافر؛ قيل إنه أبو جهل أو أمية بن خلف، كان يُعذِّب بلالًا، ويُعادي النبي ﷺ، ويبخل بالخير، ويكذِّب بالآخرة. فأنزل الله فيه: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ۝١٠﴾؛ أي: سيُيسر له طريق الشر والضلالة.

الفوائد والقيم من السورة

- الإنسان يختار طريقه؛ إما طريق الجنة وإما النار.
- والله يعين الصادق في الخير، ويسهِّل له أعمال البر، ويترك من يُعرِض ويكذِّب، حتى يهلك نفسه.

سُورَةُ الْفَجْرِ

سورة الفجر سورة مكية، عدد آياتها ٣٠ آية، وهي من السور التي تُخاطب النفس وتُحرك الوجدان، وتذكِّر الناس بمصير الظالمين، وحقيقة اختبار الإنسان في الدنيا، وخاتمة النفس المؤمنة.

قصة نزول السورة ومضمونها

في هدوء الصحراء، وفي الليالي التي يكتمل فيها القمر، كان أهل مكة يعيشون في غفلة.

يتفاخرون بأموالهم وقوتهم، ويظنون أن الحياة باقية لهم أبدًا، وفي تلك الأجواء نزلت سورة الفجر تهزُّ القلوب، وتوقظ الغافلين.

﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾: أقسم الله بوقت الفجر، حيث يولد النهار بعد ظلمة الليل، وبأيام العشر الأوائل من ذي الحجة، التي هي من أعظم أيام الطاعة. كأن الله يقول للإنسان: انظر كيف تتغير الأيام والليالي، فهكذا تتغير حياتك، فلا تغتر.

ثم يذكِّرهم بأمم كانت أقوى منهم

قوم عاد الذين شيَّدوا العماد العظيمة، وقوم ثمود الذين نحتوا الجبال بيوتهم، وفرعون الذي طغى في البلاد.

هؤلاء كانوا جبابرة أقوياء، لكن لما ظلموا وكفروا، أرسل الله عليهم سوط عذاب، فصاروا عبرة للتاريخ.

ثم ينتقل الخطاب إلى الإنسان نفسه، حين يوسِّع الله عليه الرزق، يظن أن ذلك إكرام دائم، وحين يبتليه ويضيِّق عليه، يظن أن ذلك إهانة لكن الحقيقة أن المال والرزق اختبار، لا دليل على محبة أو بغض ويعاتبهم ربهم؛ لأنهم لا يكرمون اليتيم، ولا يحضُّون على إطعام الفقير، ويحبون المال حبًّا جمًّا، حتى نسوا حق الله فيه.

ثم يأتي المشهد المهيب يوم القيامة

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾؛ الأرض تهتز وتتحطم، والملائكة تصطف صفوفًا عظيمة، ويأتي الله لفصل القضاء، وجهنم تُجَرُّ يومئذٍ على مرأى الخلائق. عندها يتذكر الإنسان كل ما فعل ولكن أين الفرار؟!

وفي وسط هذه الأهوال، ينادي الله على عباده المؤمنين: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ۝٢٨ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي

﴿ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾؛ إنها أجمل نهاية للمؤمن أن يسمع هذا النداء بعد عمرٍ قضاه في طاعة الله، فيدخل الجنة مع من أحب.

الفوائد والقيم من السورة

- قصة أممٍ طغت، فدمرها الله، وقصة إنسانٍ اغترَّ بالمال، فنُسي مصيره، ثم قصة يوم القيامة، حيث يُكشف كل شيء.
- وتنتهي السورة بنداءٍ عظيم إلى النفس المؤمنة: عودي إلى ربك، فأنتِ راضية، وهو عنك راضٍ.

سُورَةُ الضُّحَى

سورة الضحى هي سورة مكية، عدد آياتها ١١، ونزلت في وقتٍ كان فيه النبي محمد ﷺ يشعر بالحزن والقلق، فجاءت هذه السورة ممتلئة بالحب والطمأنينة والرحمة من الله، لتُواسي قلب النبي وتُعيد إليه الثقة والسكينة.

قصة نزول السورة ومضمونها

في أيام مكة المظلمة، كان النبي ﷺ يعيش بداية الدعوة، يواجه تكذيب المشركين وسخريتهم، ثم فجأة، انقطع الوحي فترة، فاشتد الحزن في قلبه، وأخذت ألسنة الكفار تهمس وتتهكم: «محمد قد تركه ربُّه، وربُّه هجَره».

كلمات جارحة، وقلوب قاسية، لكن النبي ﷺ ظل صابرًا، ينتظر نور السماء، وفي صباح مشرق، في وقت الضحى، جاء جبريل عليه السلام حاملًا رسالة حب من الله، رسالة تمسح الحزن، وتعيد الأمل، وتعلن أن الله لم ولن يترك نبيه أبدًا: ﴿وَالضُّحَى ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾.

أقسم الله بوقت الضحى، حين ينتشر النور، وبالليل إذا سكن وهدأ، ليؤكد لنبيه: لم أتركك يا محمد، ولم أبغضك، ولن أنساك.

ثم طمأنه أن القادم أجمل: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾؛ أي إن ما ينتظرك في الآخرة، وما أعدَّه الله لك، أعظم من كل ما في الدنيا وسوف يعطيك الله عطاءً عظيمًا حتى ترضى.

ثم ذكَّره الله برعايته له منذ طفولته: ألم يكن يتيمًا فآواه؟ ألم يكن فقيرًا فأغناه؟ ألم يكن يبحث عن الهداية فهداه؟

ولأن من ذاق رحمة الله يجب أن ينشرها، ختمت السورة بالوصية: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾؛ فلا تقهر اليتيم، ولا تزجر السائل، وتحدث دائمًا بنعم الله عليك.

وهكذا كانت سورة الضحى بمنزلة حضن دافئ من السماء، أزال عن قلب النبي ﷺ الحزن، وذكَّره أن الله معه في كل حين، وأن النور قادم بعد الظلام.

الفوائد والقيم من السورة

- نزلت سورة الضحى عندما انقطع الوحي مؤقتًا.
- المشركون سخروا، والنبي حزن. فأنزل الله السورة ليطمئنه ويواسيه.
- السورة ممتلئة بمشاعر الحب والاهتمام والرحمة الإلهية.

سُورَةُ الشَّرْحِ

سورة الشرح، وتُسمَّى أيضًا سورة الانشراح، هي سورة مكية تتكون من ٨ آيات، وقد نزلت مواساة وتثبيتًا للنبي محمد ﷺ، بعد ما لقيه من أذى وتكذيب في بداية الدعوة، وهي تُكمل من حيث المعنى سورة الضحى.

قصة نزول السورة ومضمونها

بعد أن نزلت سورة الضحى تمسح الحزن عن قلب النبي ﷺ، جاءت سورة الشرح تكمل الرحلة، وتملأ القلب طمأنينة وقوة، كان النبي ﷺ يعيش في مكة وسط قلوب قاسية، يواجه السخرية والتكذيب، ويحمل همَّ الدعوة في صدره. كان الليل يمر طويلًا، والأعباء ثقيلة، لكن الله لم يتركه لحزنه، فجاء الوحي يقول له: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، كأنها لمسة حب من السماء. يا محمد، ألم نفتح قلبك للحق، ونملأه إيمانًا وصبرًا؟

﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ۝ الَّذِى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾: لقد رفع الله عنك همومك، وأزاح عنك ثقل الرسالة بما أعانك به من القوة واليقين.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ في السماء والأرض، ذِكرك يا محمد ﷺ مقترن باسم الله في الأذان، وفي الصلاة، وعلى ألسنة المؤمنين في كل زمان.

ثم يعطيه الله قانون الحياة للمؤمن: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾؛ مهما اشتدت المحنة، فهناك فرج قريب، ولن يغلب عسرٌ واحد يسرين، فالله يهيئ بعد الشدة راحة، وبعد الألم أمل.

أخيرًا يوجهه إلى الطريق: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ۝٧ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾؛ أي إذا انتهيت من عملك ودعوتك، فأقبل على ربك في عبادة وخشوع، واجعل قلبك دائمًا متصلًا به.

وهكذا، كانت سورة الشرح جرعة أمل ويقين، تهمس في أذن المؤمن أن الطريق قد يكون صعبًا، لكن النصر قادم، وأن بعد كل عسر يسرًا لا محالة.

الفوائد والقيم من السورة

- نزلت في وقت كان النبي ﷺ يواجه ضغوطًا شديدة.
- جاءت لتُطمئنه، وتُذكِّره بنِعَم الله عليه بشرح الصدر وتخفيف الأعباء ورفع الذكر.
- وبشرته بأن العسر لا يدوم، وأن مع الضيق يُسرًا عظيمًا، ووجَّهته لأن يجعل كل جهده وهمَّه في الدعوة والعبادة.

سُورَةُ الْعَصْرِ

سورة العصر هي سورة مكية، عدد آياتها ٣ آيات فقط، لكنها من أعظم سور القرآن في المعنى. قال عنها الإمام الشافعي: «لو ما أنزل الله حُجَّةً على خلقه إلا هذه السورة، لكفتهم».

قصة نزول السورة ومضمونها

تخيّل إنسانًا يقف على نافذة حياته، يرى الأيام تركض: صباحٌ يبتلع مساءً، وطفولةٌ تنقلب شبابًا، وشبابٌ يصير ذكرى، وكلما أراد أن يمسك لحظة... انزلقت من يده.

في هذا الزحام، يأتي صوتٌ من السماء لا يصرخ... لكنه يحسم: ﴿وَالْعَصْرِ﴾، قسمٌ بالوقت، وكأن الله يقول: أقسم بهذا الذي تضيعونه كل يوم، لأن فيه قصتكم كلها.

ليس القسم بزمنٍ فقط، بل بميزان العمر: أيامك هي رأس مالك الحقيقي... كل نفسٍ يُكتب، وكل ساعةٍ تمضي لا تعود.

إعلان الحكم، «إن الإنسان لفي خسر»

ثم تأتي الجملة التي تسقط كل وهمٍ سريعًا... كأنها قرار محكمة لا استئناف فيه: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾.

الخسر هنا ليس فقرًا ولا مرضًا فقط؛ الخسر هو أن تمضي أيامك، وتصل إلى النهاية، ثم تكتشف أنك كنت تجمع ما لا ينفع... وتضيّع ما يبقى.

تخيّل رجلًا يملك كنزًا من الذهب... لكن الكنز يذوب كل دقيقة أمام عينيه، وهو مشغول بالضحك والركض وراء أشياء تافهة!

هكذا «العمر» لمن لا ينتبه، يتآكل... دون أن يشعر.

السورة لا تقول: بعض الناس في خسر... بل تقول: الإنسان.

أي الأصل في البشر الخسارة... إلا من نجا بشرطٍ واضح.

باب النجاة، أربعة مفاتيح

وفجأة... تفتح السورة بابًا صغيرًا، لكنه باب النجاة كله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

هنا تبدأ القصة الحقيقية... قصة «من ربحوا الوقت».

﴿آمَنُوا﴾: الإيمان ليس كلمة تُقال... بل نورٌ يغيّر اتجاهك. من عرف الله، تغيّر معنى أيامه: لم يعد يعيش ليملأ الفراغ... بل ليصل إلى الله.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: لا يكفي أن يصدق القلب دون أثر، العمل الصالح هو تحويل الوقت إلى رصيدٍ يبقى: ركعةٌ في الخفاء، صدقةٌ تمسح دمعة، كلمةٌ طيبة، أمانة، برّ، إصلاح.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾: الناجي لا يعيش وحده، لأنه يعرف أن الحق ثقيل، وأن الإنسان يضعف، فيحتاج من يذكّره ويثبّته. يتواصون: لا تتنازل، لا تظلم، لا تخدع، لا تنسى الله، هذا هو الطريق.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾: لأن الحق لا يمشي بلا شوك. ستتعب، ستتأخر النتائج، ستُختبر، ستُغرى، ستُحزن، فإذا لم تصبر، خسرْت قبل النهاية.

ولهذا ختمت السورة بالصبر: لأنه حارس الطريق.

الفوائد والقيم من السورة

- الوقت يمرُّ، وكل لحظة تذهب لا تعود.
- الإيمان وحده لا يكفي، لا بد من العمل.
- لا تكن أنانيًا، شارك غيرك بالحق والصبر.
- الناجي الحقيقي من استثمر عمره فيما يُرضي الله.

سُورَةُ الْعَادِيَاتِ

سورة العاديات هي سورة مكية، (وقيل مدنية عند بعض العلماء)، وعدد آياتها ١١، وهي تبدأ بقَسَمٍ قوي بمشهد مثير للخيال: الخيول التي تنطلق في المعركة بقوة وسرعة، تثير الغبار، وتهاجم العدو فجأة.

قصة نزول السورة ومضمونها

في سكون الصحراء، وقبل أن يسطع ضوء الفجر، تسمع وقع أقدام قوية، وصوت أنفاس متلاحقة، ورائحة الغبار تملأ الجو؛ إنها الخيول المقاتلة، تجري بسرعة البرق، قادمة من ساحات الجهاد في سبيل الله.

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾: أقسم الله بهذه الخيول التي تندفع في المعركة، حتى تسمع أصوات أنفاسها اللاهثة من شدة الجري.

﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾: وعندما تركض على الصخور، تتطاير شرارات النار من تحت حوافرها.

﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾: ثم تهجم على الأعداء مع إشراقة الصباح، في مفاجأة لا تمنح العدو فرصة للهرب.

﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾: ترفع بأقدامها الغبار الكثيف من شدة اندفاعها.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾: فتخترق صفوف الأعداء، وتشق قلب المعركة بلا خوف ولا تردد.

لكن، لماذا يقسم الله بهذه المشاهد القوية؟

لأنه يريد أن يلفت نظر الإنسان إلى قضية خطيرة: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾. فعلى الرغم من أن الله أنعم على الإنسان بكل النعم، فإنه كثيرًا من الناس يجحدون فضل الله، وينسون شكره، ويحبون المال حبًّا شديدًا، حتى يصبح هو همهم الأكبر.

ثم يذكرهم بالمصير: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾: سيأتي اليوم الذي تُفتح فيه القبور، ويخرج الموتى، ويُكشف ما في القلوب من أسرار وأعمال، لا يخفى منها شيء على الله.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾: فالله خبير بكل ما فعلوه، وسيجازيهم عليه بالعدل.

تعلمنا سورة العاديات أن الوفاء لله أهم من الركض خلف الدنيا، وأنه كما تبذل الخيول أرواحها في سبيل سيدها، يجب أن يبذل المؤمن روحه وجهده في سبيل خالقه.

الفوائد والقيم من السورة

- كن كالجواد الوفي، سريعًا في الطاعة، مقدامًا في الخير.
- لا تكن كنودًا (جحودًا)، فكل نفس أنفستَه هو نعمة.
- احذر من حب المال، فإنه قد يُفسد قلبك دون أن تدري.
- يوم القيامة تُفتح القبور، وتُفضح الصدور، فأين تفرُّ؟

سُورَةُ الْكَوْثَرِ

سورة الكوثر هي أقصر سور القرآن، لكنها تحمل رسالة عظيمة وتعزية خاصة للنبي محمد ﷺ في لحظة حزن شديدة. وهي سورة مكية، عدد آياتها ٣ آيات فقط.

قصة نزول السورة ومضمونها

النبي ﷺ كان له أبناء من السيدة خديجة رضي الله عنها، لكنهم ماتوا وهم صغار، عندما مات ابنه عبد الله، فرح المشركون وسخروا منه، وقالوا: «قد انقطع نسل محمد، فهو أبتر!»؛ (أي: لا عقب له، ولن يُذكر بعد موته).

«الأبتر» في ثقافة قريش: هو من لا نسل له، ومن ثَم لا يُذكر بعد موته، كان ذلك يُعد عارًا ونقصًا في عُرفهم الجاهلي.

فنزلت السورة ردًّا وتكريمًا: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾. الكوثر: قيل هو نهر في الجنة أعطاه الله للنبي ﷺ، وقيل: هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ويشمل: النبوة، القرآن، كثرة الأتباع، رفع الذكر، إلخ.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾: أي: كن شاكرًا لله على هذه النعمة، بالصلاة والعبادة والذبح (قربانًا لله، لا للأصنام).

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾: أي: إن من يبغضك ويهاجمك يا محمد، هو الذي سينقطع ذكره ويندثر، لا أنت. وفعلًا اسم النبي ﷺ اليوم يُذكر في الأذان، وفي كل صلاة، وعلى كل لسان، أما أعداؤه، فاختفوا، ولم يعد لهم أثر يُذكر بخير.

الفوائد والقيم من السورة

- نزلت تعزية وتكريمًا للنبي ﷺ بعد وفاة ابنه.
- ردت على استهزاء المشركين الذين وصفوه بـ«الأبتر».
- وعد الله النبي ﷺ بنهر الكوثر والخير العظيم.
- أكدت أن أعداء النبي هم المقطوعون حقًا، لا هو.

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

سورة التكاثر هي سورة مكية تتكون من ٨ آيات، وهي من السور التي تحمل تحذيرًا قويًّا للناس من الانشغال بجمع المال، والتفاخر بكثرة الأولاد والمتاع، والغفلة عن الآخرة. وعلى الرغم من أنها لا تتحدث عن قصة نبي معين أو قوم معينين، فإنها تصف حالًا شائعة وخطيرة في المجتمع، وتُحذر من عاقبتها.

قصة نزول السورة ومضمونها

ورد في بعض الروايات أن السورة نزلت في قبيلتين من قريش (بنو عبد مناف وبنو سهم أو غيرهما).

كانوا يتفاخرون فيما بينهم: من أكثر عددًا؟ من أغنى؟ من أكثر رجالًا وأولادًا؟ فقال أحدهم: «نحن أكثر». وقال الآخر: «بل نحن أكثر». فصاروا يعدُّون أحياءهم، بل حتى ذهبوا إلى المقابر يعدُّون موتاهم!

أي إن حب التكاثر والتفاخر ألهاهم حتى عن التفكير في الموت والآخرة. فنزل قوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾: أي إنكم انشغلتم في جمع

المال، والعدد، والمكانة، والتفاخر بها، حتى نسيتم الهدف الحقيقي من الحياة.

﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾: أي ظللتم في هذه الغفلة حتى متم ودُفنتم.

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: تحذير ووعيد؛ أي: ستعرفون الحقيقة يوم القيامة، لكن بعد فوات الأوان.

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾: ستشاهدون النار رؤية حقيقية، وبأعينكم ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾.

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾: يوم القيامة سيُسأل كل إنسان عن ما أنعم الله به عليه من مال، وطعام، وصحة، ووقت، ماذا فعل به؟ أشكر أم كفر؟ أأنفقه في الخير أم أسرف وبخل؟

الفوائد والقيم من السورة

- نزلت تحذيرًا من الانشغال بالدنيا على حساب الآخرة.
- ورد أنها نزلت في قوم من قريش كانوا يتفاخرون بالأعداد والأموال.
- تؤكد السورة أن هذه الغفلة لا تنتهي إلا بالموت، وعندها يواجه الإنسان الحقيقة.
- وتختم السورة بتحذير أن كل نعمة سيُسأل عنها العبد يوم القيامة.

سُورَةُ الْمَاعُونَ

سورة الماعون سورة مكية (وقيل مدنية على قولٍ آخر)، تتكون من ٧ آيات، وهي تسلط الضوء على الجانب العملي من الإيمان، وتفضح من يظهر التدين ويُكذِّب بالدين في حقيقته؛ لأنه لا يرحم اليتيم، ولا يعين المحتاج، ويُرائي في صلاته.

قصة نزول السورة ومضمونها

ورد في كتب التفسير أن السورة نزلت في شخص معين من كبار كفار قريش، يُرجَّح أنه الوليد بن المغيرة، أو العاص بن وائل، أو أبو سفيان قبل إسلامه.

كان هؤلاء يظهرون بعض العبادة أو الصلاح رياءً، لكنهم: يدفعون اليتيم بعنف ولا يرحمونه، يبخلون عن إطعام المساكين، يمنعون المعروف البسيط، مثل إعارة الإناء أو المساعدة في الأشياء اليومية. فأنزل الله السورة يفضح نفاقهم العملي، ويُبيِّن أن حقيقة الدين ليست فقط في أداء الصلاة، بل في الرحمة، والكرم، ومساعدة الناس.

﴿يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾: أي لا يصدِّق بالبعث ولا يخشى يوم الحساب.

﴿يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾: أي يدفعه بعنف، ولا يعطف عليه.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾: لا يشجع ولا يشارك في إطعام المحتاج.

﴿سَاهُونَ﴾: أي يتكاسلون أو يتغافلون عن صلاتهم، ليس نسيانًا، بل تجاهلًا.

﴿يُرَاءُونَ﴾: أي يُظهرون عباداتهم رياءً أمام الناس لا لله.

﴿الْمَاعُونَ﴾: يعني الأشياء البسيطة التي يُستعان بها: كالماء، الإناء، الفأس، أي منع أبسط أنواع الخير.

الفوائد والقيم من السورة

- نزلت لتُعرِّي حقيقة بعض المرائين المنافقين.
- تُبيِّن أن الدين الحقيقي يشمل الرحمة، والعطاء، والنية الصادقة.
- من يُصلي رياءً، ويمنع أبسط أنواع الخير، فصلاته لا تنفعه.
- السورة تدمج بين العقيدة والسلوك: من يكذب بالدين، يُكشف فعله على الأرض.

سُورَةُ الْكَافِرُونَ

سورة الكافرون عدد آياتها ٦، وهي من السور المكية القصيرة، لكن فيها موقف واضح وحاسم من العقيدة والتوحيد، وتُعدُّ إعلانًا قويًّا للبراءة من الشرك، ومن كل أنواع المساومة في الدين. وهي من السور التي لها قصة نزول مشهورة وواضحة، تمثل موقفًا تاريخيًّا مهمًّا في حياة النبي ﷺ.

قصة نزول السورة ومضمونها

في مكة، جاء زعماء قريش إلى النبي ﷺ بعرض غريب، قالوا له: «يا محمد، إن كنت لا تريد أن نعبد الله وحده، فهيا نعبد إلهك يومًا، وتعبد آلهتنا يومًا!». اقتراح فيه مساومة، كأن الحق يمكن أن يُخلَط بالباطل.

وقف النبي ﷺ بثبات، لم يتردد، ولم يجامل يعني أرادوا حلًّا وسطًا: نعبد إلهك سنة، وتعبد آلهتنا سنة. فأنزل الله عليه سورة قوية، قصيرة، لكنها تقطع الطريق على كل مساومة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، ليس لأننا أعداء، بل لأن

التوحيد لا يقبل التنازل. ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾.

وتكرار المعاني يعني أن هذا فصل نهائي، لا خلط بين دين ودين، ولا بين عقيدة وعقيدة.

الخاتمة: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، كأن النبي ﷺ يقول: أنتم أحرار في ما تعبدون، لكن لا تتوقعوا مني أن أساوم على ديني أو أُشرك بالله لحظة واحدة.

الفوائد والقيم من السورة

- الثبات على العقيدة: لا مجال للمساومة في الدين.
- الوضوح في الدعوة: لا مداراة في أصول التوحيد.
- الاحترام دون التنازل: لا إكراه، لكن لا تداخل بين الدينين.
- تُعلِّمنا الإخلاص في العبادة: ما أعبد إلا الله، ولا أشرك به.

ملاحظة

كان النبي ﷺ يقرؤها كثيرًا في ركعتي الفجر، وفي صلاة الوتر، وقال: هي براءة من الشرك.

سُورَةُ الْفِيلِ

سورة الفيل هي سورة مكية، عدد آياتها ٥ آيات، وتحمل قصة واقعية عظيمة ومعجزة إلهية حدثت قبل مولد النبي محمد ﷺ بحوالي ٥٠ يومًا، وهي قصة جيش أبرهة الحبشي الذي جاء ليهدم الكعبة، وكيف أن الله تعالى دافع عن بيته بمعجزة، دون أن يتدخل فيها أهل مكة.

قصة نزول السورة ومضمونها

أبرهة الأشرم كان حاكمًا على اليمن من قِبَل الحبشة، وكان نصرانيًّا، بنى كنيسة عظيمة في صنعاء اسمها «القليس»، وأراد أن يصرف العرب عن الكعبة، ويجعلهم يحجُّون إلى كنيسته، وعندما رأى الناس لا تقبل على كنيسته، قرر أن يهدم الكعبة.

جهَّز أبرهة جيشًا ضخمًا ومعه فيل ضخم يُدعى «محمود»، وسار به نحو مكة، أهل مكة لم يكن لديهم جيش، فتركوا المدينة ولجأوا للجبال.

كان عبد المطلب (جد النبي ﷺ) سيد مكة آنذاك، عندما طلب أبرهة من عبد المطلب أن يُسلِّم الكعبة، قال له قولته المشهورة: «أنا رب الإبل،

وللكعبة ربٌّ يحميها». أي: أنا مسؤول فقط عن إبلي التي أخذتها، أما الكعبة فلها رب يحميها.

المعجزة الإلهية

عندما اقترب أبرهة من الكعبة، رفض الفيل أن يتحرك نحوها، وإذا وجَّهوه لغيرها سار، فأرسل الله عليهم طيورًا صغيرة (أبابيل) تأتي جماعات، وتحمل حجارة صغيرة من سجيل (طين متحجِّر مُحَمَّى).

كانت الحجارة تصيب الجندي فتخترقه، فيهلك مباشرة، فهلك الجيش كله، وأبرهة نفسه أصيب ومات لاحقًا. وقعت الحادثة في سنة تُسمى عام الفيل، وهو العام الذي وُلِد فيه النبي ﷺ.

الفوائد والقيم من السورة

- الله يدافع عن بيته، ولو بلا جيش.
- من أراد الشر بالبيت الحرام ردَّه الله بالخزي والندامة.
- حتى الطيور الصغيرة تصبح جنودًا جبَّارة إذا أرسلها الله.
- الكعبة محفوظة إلى قيام الساعة.

سُورَتَا الْفَلَقِ والنَّاسِ

سورتا الفلق والناس تُعرفان معًا باسم المعوِّذتين، وقد نزلتا على النبي محمد ﷺ لحمايته من الشرور الظاهرة والخفية، وخاصة السحر والحسد والوساوس. هاتان السورتان تُعلِّمان المسلمين أن الاستعاذة بالله وحده هي الحماية الحقيقية من كل ضرٍّ، وهما جزء أساسي من الرقية الشرعية.

قصة نزول السورتين ومضمونهما

في يوم من أيام المدينة، وبينما النبي محمد ﷺ يمضي في دعوته، نَشأت نار الحقد في قلب رجلٍ من اليهود يُدعى لبيد بن الأعصم. كان يعلم أن قوة محمد ليست في سيفه، بل في صدقه ونور دعوته، فأراد أن يؤذيه بطريقة خفية لا يَراها أحد.

فذهب وجمع شيئًا من شعر النبي ﷺ، وبعض أدواته التي تساقط منها أثر جسده الطاهر، وربطها في خيوط، وعقدها بعُقد سحرٍ خبيثة، ثم دسّها في بئرٍ مهجور تُسمّى «بئر ذروان».

وبدأ تأثير السحر، لم يكن ظاهرًا لأحد، لكن النبي ﷺ بدأ يشعر بأن الأمور ليست كما كانت، كان يتخيل أنه فعل شيئًا ولم يفعله ويشعر بضعفٍ مفاجئ، إرهاق دون سبب، وهمٌّ ثقيلٌ يجثم على قلبه الطاهر.

ومضت الأيام، ولا أحد يعلم السر، حتى جاءه جبريل وميكائيل عليهما السلام في رؤيا.

في الرؤيا، وقف أحدهما عند رأسه، والآخر عند قدميه، وقال أحدهما: «ما بال الرجل؟».

قال الآخر: «مطبوب»؛ أي: مسحور.

قال: «ومن طَبَّه؟».

قال: «لبيد بن الأعصم».

قال: «وفي ماذا؟».

قال: «في مشط ومشاطة، وضعها في جُفّ طلعة ذكر في بئر ذروان».

استيقظ النبي ﷺ، كأن شيئًا قد كُشف عن بصره.

أرسل عليًّا -رضي الله عنه- وبعض أصحابه، فذهبوا إلى البئر، فوجدوها مظلمة كأن ماءها رؤوس الشياطين، فاستخرجوا السحر كما وُصف، وكان كما قيل: عُقد وعُقد من خيوط مشدودة.

وفي تلك اللحظة، أنزل الله عليه سورتين من نور السماء: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ...﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ...﴾، فقرأ النبي ﷺ السورتين،

وكلما قرأ آية، انحلّت عقدة، حتى انتهى إلى الآية الأخيرة، فقام كأنّ القيود التي كانت على جسده وروحه قد تكسّرت بالكامل.

قالت عائشة رضي الله عنها: «فكأنما نُشِط من عِقال»، أي: كأن حبالًا كانت تشدّه، فانفكّت فجأة.

الفوائد والقيم من السورتين

- الإنسان ضعيف، لا غنى له عن الاستعاذة الدائمة بالله.
- السحر والحسد حقيقتان شرعيتان، والعلاج منهما يكون بالقرآن.
- الشيطان يوسوس في القلب، فاستعذ بالله دومًا.
- لا بد أن نحمي أنفسنا بالمعوِّذتين يوميًّا.

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

سورة الإخلاص هي سورة مكية، عدد آياتها ٤، وهي من أعظم سور القرآن الكريم؛ لأنها تُبيِّن توحيد الله الكامل وتنفي عنه كل شبهات الشرك أو التشبيه، وهي بمنزلة تعريف بالله سبحانه وتعالى.

قصة نزول السورة ومضمونها

ورد في الصحيح أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: «يا محمد، صِفْ لنا ربك، من أي شيء هو؟ أمن ذهب؟ أمن فضة؟ من أبوه؟ ومن أمه؟».

فأنزل الله سورة الإخلاص ردًّا عليهم، ليُبين أن الله لا يُقارن بشيء، ولا يُشبَّه شيء، وليس كمثله شيء.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: الله واحد في ذاته، وألوهيته، وصفاته، لا شريك له.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾: الصمد: السيد الكامل، المقصود في الحاجات، الذي لا يحتاج إلى أحد، وكل شيء يحتاج إليه.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾: الله لم يلد (كما تزعم بعض الديانات)، ولم يولد (فهو أزلي، ليس مخلوقًا).

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾: لا أحد يُشبهه، ولا يعادله في ذاته أو صفاته أو أفعاله.

قصة رجل يُحِبُّها

كان هناك صحابي يحب سورة الإخلاص كثيرًا، يقرأها دائمًا في صلاته، فسأله النبي ﷺ عن السبب، قال: «أحبها لأنها تصف ربي». فقال له النبي ﷺ: «حُبُّك إياها أدخلك الجنة».

الفوائد والقيم من السورة

- تَعدِل ثُلُث القرآن في المعنى، كما قال النبي ﷺ.
- فيها خلاصة العقيدة الإسلامية في توحيد الله.
- تُستخدم في الرقية الشرعية.
- من أكثر السور التي كان النبي ﷺ يداوم على قراءتها في الأذكار، والسنن، وقبل النوم.

سُورَةُ النَّجْمِ

سورة النجم هي سورة مكية، عدد آياتها ٦٢ آية، نزلت في وقتٍ كانت فيه قريش تُكذِّب بالنبي ﷺ وتُشكك في الوحي، فجاءت السورة لتُثبت أن القرآن وحيٌ من الله، وأن النبي ﷺ صادقٌ فيما يُبلِّغ، وأن من يكذب بالبعث والآخرة فهو في ضلال عظيم.

قصة نزول السورة ومضمونها

سورة النجم نزلت في مكة، بعد فترة من التكذيب الشديد من قريش للنبي ﷺ، حيث اتهموه بالجنون، وبأنه يختلق القرآن، فأنزل الله هذه السورة للرد عليهم بكل قوة، للآتي:

إثبات صدق النبي ﷺ، وتأكيد أن القرآن وحيٌ من الله، وكشف بطلان عبادة الأصنام، وسرد مشهد عظيم من رحلة المعراج.

ماذا حدث عند تلاوتها؟

في يومٍ من الأيام، وقف النبي ﷺ في مكة، أمام قريش، وقرأ عليهم سورة النجم كاملة بصوت عالٍ. كانت السورة شديدة التأثير، وتخاطب

الفطرة والعقل والروح، وتختم بقول الله: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾، فما كان من الجميع إلا أن سجدوا، المسلمون سجدوا، والمشركون سجدوا معهم من شدة تأثير الآيات، حتى الوليد بن المغيرة، شيخ قريش، سجد!

أما أمية بن خلف، فأخذ ترابًا من الأرض ووضعه على جبهته بدل أن يسجد! (وردت في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الحديث).

١. الرد على اتهام النبي ﷺ بالجنون: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾؛ أي: نبيكم ليس ضالًا ولا مجنونًا، بل هو على الحق.

٢. التأكيد أن القرآن وحي من عند الله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، وليس اختراعًا من محمد ﷺ.

٣. رؤية النبي ﷺ لجبريل عليه السلام: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ۝١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾. النبي ﷺ رأى جبريل على صورته الحقيقية، ورآه مرة أخرى عند سدرة المنتهى في رحلة المعراج.

٤. الرد على عبادة الأصنام: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾... ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا﴾، هذه الآلهة لا تنفع ولا تضر، هي مجرد أسماء اخترعها الناس.

٥. خاتمة مزلزلة: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾، هذه الآية ختامية شديدة التأثير، ولهذا سجد السامعون جميعًا.

الفوائد والقيم من السورة

- سورة النجم أول سورة سجَد فيها النبي ﷺ علنًا، وسجد معه الجميع من شدة وقعها.
- ردت السورة على المشركين الذين كذبوا بالوحي، وأثبتت أن النبي ﷺ صادق.
- فيها وصف لرؤية النبي ﷺ لجبريل، ومشهد من رحلة المعراج.
- وهي أول سجدة تلاوة يُسجَد لها علنًا أمام قريش، فكانت لها رهبة عظيمة.

سُورَةُ عَبَسَ

سورة عبس سورة مكية، تتكون من ٤٢ آية، ونزلت في بدايات الدعوة الإسلامية. وهي تحمل قصة حقيقية حدثت مع النبي محمد ﷺ، وفيها عتاب رقيق من الله لرسوله الكريم على موقف واحد؛ لتعليم الأمة التواضع، وتقدير من يُقبل على الله بإخلاص مهما كانت مكانته الاجتماعية.

قصة نزول السورة ومضمونها

بطل القصة: عبد الله بن أم مكتوم.

وهو صحابي جليل، كان أعمى. مؤمن، جاء إلى النبي ﷺ يطلب منه أن يعلمه مما علمه الله، وكان النبي ﷺ في تلك اللحظة يخاطب مجموعة من سادة قريش (كأبي جهل، والوليد بن المغيرة) ليدعوهم إلى الإسلام، وكان يأمل في إسلامهم لما لهم من تأثير.

فجاء ابن أم مكتوم، يقاطع الحديث، ويقول: «يا رسول الله، علِّمني مما علمك الله!»، فتضايق النبي ﷺ، لا غضبًا، بل اجتهادًا منه؛ لأنه ظن أن الكلام مع كبار قريش أولى الآن، فعبس وجهه وأعرض عنه، ولم يُجِب

عبد الله في لحظته. فأنزل الله سورة كاملة تبدأ بوصف الموقف: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾؛ أي: كيف عَبَسْت في وجه هذا العبد المؤمن؟ فلعل الخير كله في هذا الأعمى الذي جاء يطلب الهداية، لا من يتكبر ويعرض!

من هو عبد الله بن أم مكتوم؟ كان أعمى البصر، لكنه بصير القلب، أحب الإسلام وكان من أوائل من أسلموا. وكان مؤذن النبي ﷺ مع بلال، وكان النبي ﷺ يكرمه جدًّا بعد نزول هذه السورة حتى كان يقول له: «مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي!».

الفوائد والقيم من السورة

- علوِّ مكانة من يُقبل على الله بإخلاص، ولو كان ضعيفًا أو فقيرًا أو مهمشًا.
- خطورة تفضيل أهل الجاه والمكانة على أهل الإيمان.
- أن النبي ﷺ، رغم نبوته، كان يُعلِّمه الله ويوجهه ليكون قدوة في التواضع.
- أن القرآن صريح وواضح، لم يُخفِّف العتاب حتى عن رسول الله ﷺ، لتكون الهداية نقية.

سُورَةُ الْقَدْرِ

سورة القدر هي سورة مكية (وقيل مدنية)، تتكون من ٥ آيات، وتتحدث عن ليلة القدر، وهي أعظم ليلة في السنة، نزل فيها القرآن الكريم، وجعلها الله ليلة خير من ألف شهر. السورة لا تروي قصة حدثت زمن النبي ﷺ فقط، بل تُنزل معاني عظيمة مرتبطة بالوحي والقدر والملائكة.

قصة نزول السورة ومضمونها

رُوي أن النبي ﷺ ذَكر رجلًا من بني إسرائيل، كان يقوم الليل ويجاهد في النهار لمدة ألف شهر، فتعجَّب الصحابة؛ لأن أعمار أمة محمد ﷺ قصيرة، أيضًا ورد في بعض الروايات أن الصحابة سألوا النبي ﷺ عن أمم سابقة كانوا يعيشون أعمارًا طويلة (مثل من كان يعيش مئات السنين)، ويقومون بعبادات عظيمة، فأنزل الله هذه السورة ليُطمئِن المسلمين ويُبيِّن لهم أن الله أنعم عليهم بليلة القدر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾.

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾: أي إن من قام هذه الليلة بصدق، فكأنما عبد الله أكثر من ٨٣ عامًا.

ماذا يحدث في ليلة القدر؟

نزول القرآن، فقد بدأ نزوله في هذه الليلة، وتنزل الملائكة والروح (جبريل) بكثرة، يحملون الرحمة والبركة والأقدار، وسلام حتى مطلع الفجر، فهي ليلة هادئة، مباركة، ممتلئة بالسلام.

متى ليلة القدر؟

ليست معروفة بدقة، ولكن هي في الليالي العشر الأخيرة من رمضان. وكان النبي ﷺ يتحرَّاها في الليالي الوترية (٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٢٩).

الفوائد والقيم من السورة

- سورة القدر نزلت تكريمًا لليلة عظيمة، فيها بدأ نزول القرآن.
- تبشِّر الأمة بأن الله عوَّضهم عن قصر أعمارهم بليلة تساوي ألف شهر.
- تحفُّها الملائكة، ويُستجاب فيها الدعاء، وتُكتب فيها الأقدار.

سُورَةُ الشَّمْسِ

سورة الشمس هي سورة مكية، عدد آياتها ١٥، وهي من السور التي تركز على الصراع بين النفس الخيِّرة والنفس الشريرة، وتسرد قصة قوم ثمود الذين كذَّبوا نبيهم صالحًا عليه السلام، فعقروا الناقة، فأهلكهم الله.

قصة نزول السورة ومضمونها

تضرب السورة مثالًا تاريخيًا صارخًا: قومًا عرفوا الحق ثم غلبتهم شهوتهم وكِبرهم: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾.

في لحظةٍ فارقة من طغيانهم، خرج أخبثهم وأجرؤهم يتصدر الجريمة ﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ جاءهم رسول الله يحذّرهم ويضع لهم حدًّا واضحًا لا لَبس فيه: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾.

أي: هذه آيةٌ من الله، ولها حقّها في الشرب، فلا تتعدّوا حدود ربكم.

لكن الطغيان إذا استقر في القلب يصير الحق ثقيلًا، فيكابر صاحبه ولو رأى البرهان. فكان الردّ مأساويًا: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾.

كذّبوا، ثم تجاوزوا إلى الفعل: اعتدوا على آية الله، وكأنهم يعلنون تمرّدهم على السماء.

وعندها جاء الجزاء الذي تقشعر له الأبدان: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾؛ دمدمةٌ تمحو آثارهم، وتسويةٌ لا تُبقي منهم أحدًا، لأن الذنب لم يكن لحظة طيش، بل نتيجة طريق طويل من ﴿طَغْوَاهَا﴾ ودفن النفس بدل تزكيتها.

وتختم السورة بخاتمة قوية تهزّ الغافل ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾؛ أي: أن الله سبحانه إذا أخذ الظالم أخذًا شديدًا، فلا رادّ لحكمه، ولا معقّب لقضائه.

الفوائد والقيم من السورة

- كل إنسان فيه نور وظلام... وأنت من يختار.
- تزكية النفس (تطهيرها) هي أعظم هدف في الحياة.
- الطغيان يبدأ من داخل النفس، وينتهي بهلاك الأمم.

سُورَةُ الْبُرُوجِ

سورة البروج سورة مكية، عدد آياتها ٢٢ آية، وتُعد من السور التي تهزُّ القلب بأسلوبها القوي وبلاغتها، إذ تبدأ بقَسَمٍ عظيم، وتُخبِر عن قصة أصحاب الأخدود الذين ثَبَتُوا على الإيمان رغم الحرق بالنار، ثم تُبيَّن عظمة الله وعاقبة الطغاة. هذه السورة تحكي قصة حقيقية عظيمة ومؤثرة جدًّا تُعرف باسم: «قصة أصحاب الأخدود».

قصة نزول السورة ومضمونها

جرت أحداث هذه القصة –على الأغلب– في نجران (شمال اليمن حاليًّا)، في زمنٍ قبل الإسلام. وقد رُويت بتفصيل في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم، عن فتى مؤمن وملك كافر.

كان هناك ملك كافر ظالم عنده ساحر يخدمه، فلما كبر الساحر طلب أن يُعلِّم غلامًا ليخلفه.

فاختاروا غلامًا صغيرًا، في طريقه إلى الساحر كان يمر على راهب (رجل صالح مؤمن)، فأُعجب بكلامه وبدأ يميل إليه.

وحدثت معجزة

ذات يوم، ظهر وحش يمنع الناس من المرور، فقال الغلام: «اللهم إن كان أمر الراهب أحبُّ إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة». فرماها بحجر فماتت، فعلم أن الراهب على الحق.

وانتشرت أخبار الغلام، فكان يشفي الأكمه والأبرص والمرضى بدعائه لله، فغضب الملك؛ لأنه اكتشف أن الغلام صار يدعو لرب غيره، فحاول قتله، فألقوه مرة من جبل فلم يمت، ورموه مرة في البحر فنجا.

أخيرًا، قال الغلام: «لن تستطيع قتلي إلا إذا جمعتَ الناس، وربطتني، وأخذت سهمًا من كِنَانتي، وقلت: باسم الله رب الغلام». فلما فعل ومات الغلام صرخ الناس جميعًا: آمنا برب الغلام!

هنا بدأ العذاب: حفر الملك أخدودًا (خندقًا عظيمًا)، وأشعل فيه النار. وأخذ يُلقي فيها كل من آمن، رجالًا ونساء، صغارًا وكبارًا، وكانوا يُحرقون فقط لأنهم قالوا: ربنا الله.

السورة تصف هذا المشهد

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾، ثم يبيِّن الله أن هؤلاء الظالمين لن ينجوا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾.

لكن الصابرين لهم الجنَّة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي...﴾.

الفوائد والقيم من السورة

- الإيمان قد يكون ثمنه كبيرًا في الدنيا، لكن الجزاء عند الله أعظم.
- الله يرى ويعلم ولا يغفل عن الظالمين.
- النصر الحقيقي هو الثبات على الدين، ولو مات الإنسان.
- في النهاية: الملك مات، والغلام استُشهِد، لكن الحق انتصر.

سُورَةُ التِّينِ

سورة التين هي سورة مكية، عدد آياتها ٨ آيات، وهي من السور القصيرة، لكنها شديدة العمق، وتجمع بين القَسَم، والتكريم الإلهي للإنسان، والتنبيه على مصيره إن كفر أو آمن.

قصة نزول السورة ومضمونها

في إحدى ليالي مكة، نزلت على النبي ﷺ سورة قصيرة، لكنها عظيمة في معناها، تبدأ بقَسمٍ غريب في ظاهره، لكنه ممتلئ بالحكمة: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾.

هل الله يُقسم بالتين والزيتون فقط كونها فاكهة؟ لا، بل يُشير إلى أماكن مقدسة:

التين والزيتون: أرض فلسطين، موطن عيسى عليه السلام.

طور سيناء: حيث كلَّم الله موسى عليه السلام.

البلد الأمين: مكة، حيث بُعث النبي محمد ﷺ.

كأن الله يُقسم بأشرف الأماكن التي بُعث فيها أعظم الأنبياء.

بعد القسم، تأتي الرسالة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾؛ أي: خلقه الله في أعدل هيئة، وأفضل صورة، وأكمل عقل وفطرة.

لكن إن كفر: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾؛ أي: إذا أفسد نفسه، رُدَّ إلى الحضيض، أخلاقيًّا وروحيًّا، أو حتى في الآخرة إلى النار.

أما من آمن: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي غير منقطع.

الفوائد والقيم من السورة

- كرامتك الحقيقية في إيمانك، لا في شكلك أو مالك.
- من ابتعد عن الحق، نزل من أسمى مقام إلى أسفل سافلين.
- الإيمان والعمل الصالح يرفعان الإنسان حتى عند موته.
- من يكذِّب بعد كل هذه الأدلة فقد ظلم نفسه.

سُورَةُ قُرَيْشٍ

سورة قريش سورة مكية، عدد آياتها ٤ آيات فقط، لكنها تحتوي على درس عظيم في شكر النعم، وتُذكِّر قريش بمكانتها الخاصة، وما يجب أن يكون موقفها من ربها الذي أنعم عليها.

قصة نزول السورة ومضمونها

في قلب الجزيرة العربية، كانت قبيلة قريش تعيش في مكة، حول الكعبة المشرَّفة التي بناها إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل. هذه القبيلة لم تكن كسائر القبائل، فقد منحها الله مكانة عظيمة بين العرب، وجعلهم أهل بيت الله الحرام، يزورهم الناس ويحترمونهم. وكان لقريش رحلتان عظيمتان في حياتهم: رحلة الشتاء، إذ يسافرون إلى اليمن حيث الجو الدافئ، يحملون تجارتهم ويعودون بالرزق، ورحلة الصيف، إذ يتجهون إلى الشام حيث الجو المعتدل، ويتاجرون ويعودون بخيرات وفيرة.

هذه الرحلات كانت آمنة رغم أن الجزيرة ممتلئة بقطاع الطرق، لكن الله حمى قريش ببركة البيت الحرام. فلا أحد يجرؤ على الاعتداء عليهم، فهم جيران الكعبة وخدمها.

وهنا ينزل قول الله عز وجل يذكِّرهم بنعمته: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾؛ أي لتعوُّدهم على هذه الرحلات الميسَّرة، في أمن ورزق وفير.

ثم يأمرهم بما هو واجب عليهم تجاه هذه النعمة: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾، الذي أعطاهم الأمن والرزق.

ويذكِّرهم: ﴿الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾؛ أي إن الله أنقذهم من الفقر، وجعلهم يعيشون بأمان في أرض الحرم.

الفوائد والقيم من السورة

- من رزقك فاشكره بالعبادة.
- الأمان والطعام ليسا من قوتك، بل من عطاء الله.
- إذا كنت في نعمة، فلا تنسَ المنعِم.
- لا تفتخر بنفسك، بل تذكَّر أن كل خير من الله.

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

سورة القارعة سورة مكية، عدد آياتها ١١ آية، وتُعد من السور التي تهز النفس وتوقظ القلوب؛ لأنها تتحدث عن يوم القيامة بأسلوب قوي ومثير، وتصف أهواله ومصير الناس فيه، بطريقة بليغة قصيرة الكلمات عميقة المعاني.

قصة نزول السورة ومضمونها

في ليلةٍ من ليالي مكة، سكنت الأصوات، ونامت العيون، لكن النبي ﷺ كان يفكر.. كيف يوقظ الناس من غفلتهم؟ فأنزل الله عليه سورة تبدأ بصوت صادم يهزُّ القلب: ﴿الْقَارِعَةُ﴾؛ أي: الداهية العظيمة، التي تقرع القلوب بهولها.

ثم يكررها: ﴿مَا الْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾؛ أي: هل تدري ما هو هذا اليوم الرهيب؟ هل تتخيله؟ كأن الله يقول: مهما تخيَّلت، فهو أعظم.

كيف يكون المشهد؟

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ الناس يوم القيامة يتطايرون في كل اتجاه، كالفراش المنتشر حول النار... لا نظام، لا ترتيب، فقط فوضى وفزع!

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ (الجبال الراسخة تصير كالصوف المنفوش، تتطاير كأنها لا شيء!)، وهنا تأتي لحظة الحسم: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾؛ من كانت أعماله الصالحة كثيرة، فهو في راحة، وسعادة، ونعيم.

لكن ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾؛ أي: مصيره هو الهاوية؛ نار جهنم تهوي به إلى القاع.

ثم يأتي التوضيح المرعب: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ نار حامية مشتعلة، لا يطفئها أحد.

الفوائد والقيم من السورة

- يوم القيامة ليس خيالًا، بل قارعة حقيقية تهزُّ الوجود.
- الموازين حقيقية، وكل عمل ستراه.
- لا يكفي أن تأمل الخير، بل يجب أن تثقل ميزانك بالعمل الصالح.
- المصير: إما عيشة راضية، وإما نارٌ حامية.

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

سورة القيامة سورة مكية، عدد آياتها ٤٠ آية، وهي من السور التي تصوِّر مشهد يوم القيامة بكل أهواله، وتُخاطب النفس البشرية بعمق، وتكشف حالها، وتقيم الحجة على من يُنكر البعث والحساب.

قصة نزول السورة ومضمونها

كان بعض كفار مكة يقولون للنبي ﷺ: «أيُبعَث الناس من جديد بعد أن يصبحوا عظامًا؟ أيعيدنا الله بعد الموت؟ هذا مستحيل!».

فأنزل الله سورة تهزُّ الغافلين، وتردُّ على المنكرين: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾.

الله يُقسِم بهذا اليوم العظيم، ويُقسِم بالنفس التي تلوم نفسها عندما تُخطئ، وتحنُّ للحق. هل تظن أننا لا نقدر؟ ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝٣ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾؛ الله لا يعجز عن جمعك بعد موتك، بل يقدر على أن يرجع لك حتى أطراف أصابعك!

الإنسان يحب التأجيل: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾، الإنسان يُؤخِّر التوبة، يقول: «سأتوب لاحقًا... سأتغيّر غدًا...»، لكنه لا يدري متى تأتي النهاية.

﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾: (يقول باستهزاء: متى يوم القيامة؟) المشهد المرعب حين ترى الآخرة بعينك: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾: العيون تتسع من الهول.

﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾: القمر يختفي.

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾: كل شيء ينتهي، يُجمع للزوال.

﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾: لكن لا مفرَّ، قُضي الأمر.

القرآن... لا تستعجل فهمه في وسط السورة، رسالة للنبي ﷺ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾؛ الله يطمئنه: لا تخف... سنجعل القرآن محفوظًا في قلبك.

الختام: عرض الأعمال، والندم

﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾: أنت تعرف حقيقتك، حتى لو كذَّبت أمام الناس.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾: المؤمنون يرَون ربهم؛ أجمل نعيم.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾: وجوه الكفار شاحبة... تنتظر عذابًا لا يُطاق.

الفوائد والقيم من السورة

- القيامة ليست بعيدة، بل أقرب مما تتخيل.
- النفس اللوَّامة خيرٌ من النفس الغافلة.
- لا تؤجِّل التوبة، فـ«أين المفرّ؟».
- في النهاية: إما أن تنظر إلى الله، أو تنظر إلى جهنم.

سُورَةُ الْهُمَزَةِ

سورة الهمزة سورة مكية، قوية اللهجة، قصيرة في عدد آياتها، ٩ آيات، لكنها تحمل رسالة تهديد شديدة إلى فئة من الناس اشتهروا بالسخرية، والتكبر، وجمع المال، واحتقار الآخرين. وهي ليست قصة بشخصيات وسرد زمني، لكن يمكن تلخيصها كـ«قصة مصير رجل مغرور بماله ولسانه»، مثل قصة تحذيرية رمزية.

قصة نزول السورة ومضمونها

رجل من قريش (مثل الوليد بن المغيرة أو أمية بن خلف)، كان غنيًّا جدًّا، يملك تجارة واسعة، وقصورًا، وعبيدًا، لم يكن مؤمنًا بالله، وكان يسخر من النبي محمد ﷺ، ومن الفقراء من أصحابه، كان إذا جلس في المجلس، يعيب هذا، ويضحك من ذاك، بالكلام أو بالإشارة.

هذا هو «الْهُمَزَة اللُّمَزَة»، الهمز: الغيبة بالكلام. اللمز: الطعن بالإشارة أو التلميح.

هذا الرجل كان يجمع المال بجنون: ﴿الَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ لا يكتفي بأن يجمع المال، بل يعدُّه مرارًا ليتلذَّذ بكثرته يتفاخر به، ويظن أنه يحميه من المصائب والموت.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾؛ أي: يعتقد أن ماله سيخلده في الدنيا.

لكن الله ردَّ عليه ردًّا قاطعًا: ﴿كَلَّا﴾؛ أي: لا، أبدًا! المال لا يخلِّد أحدًا، ولا يحمي من العذاب.

﴿لَيُنبَذَنَّ فِى الْحُطَمَةِ﴾: سينبذ أي يُرمى رميًّا مهينًا في نار الله التي تحطِّم وتكسِّر.

ما هي الحُطَمَة؟ نار خاصة وصفها الله بأنها موقَدة: مشتعلة لا تنطفئ.

تطَّلع على الأفئدة: تدخل إلى القلوب؛ لأنها مصدر الكِبْر والاستهزاء.

مُؤصَدة: مغلقة تمامًا.

في عمدٍ ممددة: محاط بأعمدة من النار، لا خروج منها.

الفوائد والقيم من السورة

- لا تسخر من الناس، لا بلسانك ولا بإشارتك.
- لا تغتر بمالك، فهو لا ينفعك عند الموت.
- الله يرى ما في القلب، ويجازي بما فيه.
- من جعل الدنيا همه، ونسي الله، فمصيره الحُطَمَة.

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

سورة المرسلات سورة مكية، عدد آياتها ٥٠ آية، ونزلت في مكة لتكون إنذارًا قويًّا للكفار والمكذبين، وتأكيدًا على حقيقة يوم القيامة، وتذكيرًا بمصير الأمم السابقة التي كذَّبت رسلها. وهي من السور التي يُكثر النبي ﷺ من قراءتها في الصلاة، خاصة في صلاة الفجر، لما فيها من قوة الإيقاع، وشدة الإنذار.

قصة نزول السورة ومضمونها

في فجرٍ تهتزّ فيه الأرض دون صوت، أُطلقت المرسلات؛ رياحٌ تتتابع، ليست عبثًا ولا لعبًا، بل بأمرٍ مقدّر.

تجيء واحدةً بعد أخرى، كأنها رسلُ قدرٍ خفيّ، تُثير، ثم تعصف، ثم تفرّق، ثم تُلقي الذكر إلقاءً يعلو النداء في الكون: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۝٢ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۝٣ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ۝٤ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾.

ليست هذه الرياح مجرد ظواهر، بل شهود، تشهد أن ما سيأتي بعدها حقّ لا مفرّ منه.

لحظة الانقلاب العظيم

ثم فجأة، يتبدّل كل شيء، النجوم التي كانت زينة السماء تُطمس، والسماء التي كانت سقفًا محفوظًا تُشقّ، والجبال التي ظنّها الناس أوتادًا راسخة تُنسف وتُسيّر.

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾.

وهنا يتردّد الصدى المرعب في أرجاء الوجود ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

تذكير الإنسان بالبداية

قبل أن يُحاسَبوا على النهاية، أُعيدوا إلى البداية، قطرةٌ مهينة، قُدِّرت بقدر، في قرارٍ مكين ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾.

ثم الأرض مهادٌ للأحياء، وكفاتٌ للأموات وجبالٌ شامخات، وماءٌ فرات.

كل شيء كان آية، لكنهم أعرضوا فيُقال مرةً أخرى:

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

ساعة الفصل

يُساق المجرمون إلى ظلٍّ لا يُظلّ، ودخانٍ لا يقي، وثلاثِ شُعَبٍ لا أمان فيها ﴿انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ۝٣٠ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾.

شررٌ كالقصر، كأنّه جمالاتٌ صُفر، ولا كلمة تُقال، فقد انتهى وقت الاعتذار ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾، ويُعلن الحكم الأخير ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾.

نجاة المتقين

ثم يتغيّر المشهد، ظلٌّ وارف، وعيون ماء، وفاكهة مما يشتهون.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ۝٤١ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾.

ويُقال لهم برفقٍ بعد طول الانتظار ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ثم يُغلق الستار بنداءٍ أخير يهزّ القلوب ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

الفوائد والقيم من السورة

- القيامة قادمة حتمًا، مهما أنكرها الناس.
- «ويل للمكذبين»، تكرارها ١٠ مرات يدل على أن الله لا يترك الظالمين.
- الله الذي خلقك من نطفة قادر على بعثك.
- المتقون ينالون النعيم الكامل بسبب إيمانهم وثباتهم.

سُورَةُ قٓ

سورة «ق» سورة مكية، عدد آياتها ٤٥ آية، وهي من السور التي نزلت في بدايات الدعوة بمكة، حين كان المشركون يُكذِّبون النبي ﷺ ويُنكرون البعث، فجاءت هذه السورة لتكون مزيجًا من الدعوة والتذكير والإنذار القوي، مع تصوير مشاهد مؤثرة من البعث، والموت، والحساب، والجنة، والنار.

من السنة النبوية

كان النبي ﷺ يقرأ سورة «ق» في الجمعة والعيدين؛ لأنها تُوقظ القلوب وتُذكِّر بالآخرة.

قصة نزول السورة ومضمونها

في مكة، وقف الناس مذهولين أمام هذا القرآن ليس لأنه غير مفهوم، بل لأنه هزّ أعماقهم، تعجّبوا أن يكون الذي يُنذرهم واحدًا منهم، يعرفون صدقه وأمانته، ثم يحدّثهم عن بعثٍ بعد الموت! فنزل

الخطاب حاسمًا: ﴿قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾.

قالوها باستهزاء: كيف نُبعث وقد صرنا ترابًا؟

علم الله الذي لا يغيب

جاءهم الردّ من السماء، هادئًا لكنه قاطع، الله يعلم أدقّ التفاصيل، يعلم ما تأكله الأرض من أجسادهم، وكل شيء محفوظ عنده ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾، ثم فتح لهم نافذة التأمّل: انظروا إلى السماء، كيف بُنيت بلا شقوق، وإلى الأرض، كيف مُدّت وزُيّنت، وإلى المطر، كيف يُحيي أرضًا كانت ميتة.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾.

كما أحيينا الأرض بعد موتها، كذلك الخروج.

الإنسان ليس وحده

ثم يقترب الخطاب أكثر، ليس عن الكون، بل عنك أنت.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾.

كل همسة محسوبة، كل كلمة مسجّلة، يعيش الإنسان وهو يظنّ أنه وحده، لكن الحقيقة هو محاط بالعلم والرقابة.

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

انكشاف الغطاء

يقف الإنسان أمام الحقيقة العارية: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ لا أعذار، ولا إنكار.

فإمّا مصيرٌ مُظلم: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

وإما نداءُ الرحمة: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾.

ثم يُقال لهم: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾.

الفوائد والقيم من السورة

- البعث حق، والمكذبون به في خطر شديد.
- الله يعلم السر والعلن، بل حتى الوساوس.
- كل ما نقوله ونفعله مُسجَّل.
- الرجوع إلى الله واقع لا مفرَّ منه، سواء صدَّقْتَه أم كذَّبْتَه.

سُورَةُ الْبَلَدِ

سورة البلد سورة مكية، عدد آياتها ٢٠ آية، ونزلت في وقتٍ كان فيه النبي ﷺ يُواجه شدة وأذى في مكة من قريش، فجاءت السورة تذكيرًا بأن الحياة كلها كفاح وابتلاء، وأن الطريق إلى الجنة يتطلب صبرًا وعملًا صالحًا، لا مالًا ولا نسبًا.

قصة نزول السورة ومضمونها

في مكة، البلد الحرام، حيث يعرف الناس قيمة المكان، ويغفل كثيرٌ منهم عن قيمة الرسالة، ثم يأتي القسم الإلهي قويًّا: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾.

قسمٌ بمكة، وبالنبي ﷺ وهو فيها، وبالإنسان منذ وُلد إلى أن كَبُر، تمهيدٌ لحقيقةٍ كبرى، أن طريق الإنسان في هذه الحياة ليس سهلًا.

وهم القوّة

يقف الإنسان مزهوًّا بنفسه، ينظر إلى ماله وقوّته ويقول في سرّه: أنا قادر، لا يُحاسبني أحد! فيأتي الردّ حاسمًا: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾؛ أي: في مشقّة، وتعب، وصراع.

العقبة

هنا تبلغ القصة ذروتها، طريقان أمام الإنسان، وأصعبهما العقبة.

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾.

ليست العقبة جبلًا من صخر، بل جبلًا من الأنانية، والبخل، وقسوة القلب.

ثم يُكشف معناها ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾.

العقبة أن تُحرّر مظلومًا، أن تُطعم جائعًا وقت الشدّة، أن تلتفت لمن سقطوا على هامش الحياة.

الفوائد والقيم من السورة

- الحياة كبد (مشقة)، فلا تتوقع الراحة الكاملة هنا.
- البرُّ والإحسان الحقيقيان هما: تحرير، إطعام، رحمة، إيمان، صبر.
- من أراد النجاة، فعليه أن «يقتحم العقبة»؛ أي يتجاوز الصعوبات في سبيل الخير.

سُورَةُ الطَّارِقِ

سورة الطارق سورة مكية، عدد آياتها ١٧ آية، ونزلت في مكة في وقتٍ كانت فيه الدعوة في بدايتها، وكان الناس يُكذِّبون بالبعث والنشور، السورة جاءت بأسلوب قَسَم وإنذار، لتُذكِّر الإنسان بضعفه، وأن الله الذي خلقه من نقطة ماء قادر على إحيائه بعد موته ومحاسبته.

قصة نزول السورة ومضمونها

الله يُقسِم بـ«الطارق»، وهو: النجم الذي يطرق السماء ليلًا بظهوره اللامع (نجم ثاقب يخترق الظلام). والمراد من القَسَم لَفتُ الانتباه لشيء عظيم سيُقال بعده.

الإنسان ضعيف، خُلق من ماء مهين

قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾: تذكير لمن يستكبر أو يُكذِّب بالبعث: أنت من ماء صغير لا تملك من أمرك شيئًا، فكيف تُنكِر أن يُبعث مثلك مرة أخرى؟

﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾: أي إن الله قادر على إعادة الإنسان بعد موته، كما خلقه من العدم.

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾: أي في يوم القيامة، تُكشف نوايا الناس وأعمالهم الباطنية، ولا يخفى شيء على الله.

في نهاية السورة، يُهدد الله الكافرين بقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾؛ أي: هم يُخططون لإيذاء النبي ودعوته، لكن الله أقوى، ويمهلهم لحكمة، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

الفوائد والقيم من السورة

- الله يراك ويعلم ما في قلبك، لا فقط ما في ظاهرك.
- السرائر تُفضح يوم القيامة فاحرص على طهارة السر.
- لا يغرك صمت الله عن الكافرين، فهو يُمهلهم، ثم يأخذهم.
- كما يخرج النبات من الأرض يخرج الناس من قبورهم للبعث.

سُورَةُ الْقَمَرِ

سورة القمر سورة مكية، عدد آياتها ٥٥ آية، وتتميز بأسلوبها القوي في التحذير والوعيد للمكذبين، وتكرار قصة أقوام هلكوا بسبب تكذيبهم للرسل. كما تبدأ السورة بمعجزة عظيمة حدثت في زمن النبي محمد ﷺ: انشقاق القمر.

قصة نزول السورة ومضمونها

اجتمع نفرٌ من كبار قريش، وقالوا بلهجةٍ فيها تحدٍّ: «إن كنتَ صادقًا، فأرِنا آيةً لا يملكها بشر!»، لم يكن طلبهم بحثًا عن حقّ، بل اختبارًا متعاليًا، كلّما جاءتهم بيّنةٌ قالوا: «غيرها!» ومع ذلك، جاءت الآية.

وفجأة، أمام أعينهم، وفي وضوحٍ لا يحتاج تفسيرًا انشقّ القمر، كأنّه صفحةٌ انفتحت، أو طريقٌ انقسم في السماء، سكتت الأصوات لحظةً، ثم ارتفعت همساتٌ مضطربة: هل ما رأيناه حقيقة؟ أم خيال؟

وجاءت كلمات القرآن قويةً كالصاعقة: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ بدل أن يقولوا: «آمنّا»، قالوا: «سِحر!».

ولم يكتفوا، بل أرادوا أن يطعنوا في الحدث نفسه.

حيلة «السحر»، تسقط

قال بعضهم لبعض: «اسألوا القادمين من خارج مكّة، إن رأوا ما رأينا، فليس بسحر».

وجاء المسافرون، وذكروا أنّهم رأوا شيئًا عجيبًا في السماء، كان ينبغي أن تنكسر المكابرة، لكنّ القلب إذا أغلقه الهوى، صار يرى النور تهديدًا.

تذكير بأمم كذَّبت فهلكت

قوم نوح: كذَّبوا عبدنا وقالوا مجنون، فدعا عليهم، فأغرقناهم.

عاد (قوم هود): كذبوا فأرسل الله عليهم ريحًا صرصرًا عاتية.

ثمود (قوم صالح): كذبوا بالنذر، فأخذتهم الصيحة.

قوم لوط: كذبوا، فصبَّ عليهم حجارة من سجيل.

قوم فرعون: كذبوا، فأغرقهم الله مع جنده في البحر.

وكل مرة تُختم القصة بعبارة مكررة: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾.

أي: انظروا معشر كفرة قريش بالله كيف كان عذابي إياهم، وعقابي لهم على كفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله هودًا وإنذاري بفعلي بهم ما فعلت من سلك طرائقهم.

الفوائد والقيم من السورة

- تكذيب الحق يؤدي للهلاك، مهما كانت القوة.
- معجزات الأنبياء لا تكفي إن لم يكن في القلب نية صادقة.
- تاريخ الأمم السابقة عبرة للمكذبين اليوم.
- الله يُنذر ثم يُمهل، لكنه لا يُهمل.

سُورَةُ صٓ

سورة «ص» سورة مكية، عدد آياتها ٨٨ آية، نزلت في وقت كان المشركون في مكة يُكذِّبون النبي ﷺ ويتهمونه بالجنون، فجاءت السورة لتُثبِّت النبي، وتردَّ على أقوالهم، وتعرض قصص عدد من الأنبياء الذين واجهوا التكذيب والابتلاء، لكنهم ثبتوا وانتصروا بإذن الله.

قصة نزول السورة ومضمونها

في مكّة، كان الصوت الجديد يملأ الأزقّة: قرآنٌ يُتلى، وقلوبٌ تهتزّ، وقلوبٌ أخرى تقسو أكثر.

كان كبار قريش يشعرون أن شيئًا يهدّد مكانتهم؛ ليس سيفًا ولا جيشًا، بل كلمةٌ ترفع الحقّ فوق الأسماء.

وهنا تبدأ سورة ص كأنها تفتح الستار على صراعٍ قديم: صراع الكِبر مع الحق.

«عجبًا!»، حين يصير الحقّ تهمة

وقف المعاندون يقولون باستغرابٍ مصطنع:

كيف يُبعث من بيننا رسول؟ كيف يكون نبيًّا بشرًا مثلنا؟

والقرآن يصف موقفهم بوضوح:

﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

ليست مشكلة دليل، بل مشكلة كبرياء.

داود عليه السلام، الحكم بين الخصمين

ثم تنتقل السورة فجأةً إلى مشهدٍ عجيب: داود عليه السلام في محرابه، في لحظة عبادةٍ وهدوء، فإذا برجلين يدخلان عليه دخولًا مفاجئًا.

أحدهما يشكو: لي أخٌ (أو شريك) له تسع وتسعون نعجة، ولي نعجة واحدة، ومع ذلك يريد أن يأخذها!

فحكم داود بسرعة: الظلم واضح.

لكن، جاءت الصدمة، المشهد كان ابتلاءً ليُعلّم داود التثبّت وعدم الحكم قبل السماع الكامل ففزع داود، واستغفر، وخرّ راكعًا وأناب.

وهنا العبرة: حتى أهل الصلاح يحتاجون لحراسة القلب من العجلة.

سليمان عليه السلام، مُلكٌ لا يُنسي العبد ربّه

ثم يأتي سليمان، صاحب الملك العريض.

تُذكر لحظة انشغاله بالخيل، ليس لأنها «خيل»، بل لأن أي نعمةٍ قد تصير فتنة إن أخذت من القلب مكان الله.

فتراه يعود إلى ربه، يطلب المغفرة، ويطلب ملكًا يكون آيةً، لكن مع قلبٍ عابد ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي﴾.

ثم يسخّر الله له الريح والجن، فيصبح الملك نفسه شاهدًا على قدرة الله، لا على كبرياء صاحبه.

أيوب عليه السلام، حين يكون الألم طريقًا للصفاء

ثم تأتي القصة التي تمسّ كل إنسانٍ تعب يومًا: أيوب عليه السلام، ابتُلي في جسده ورزقه، لكن بقي قلبه متعلقًا بالله، لا يشكو الناس، ولا يتهم القدر.

ثم ينادي ربه بنداءٍ قصير، لكنه ممتلئ أدبًا: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾.

فجاء الشفاء بأمرٍ بسيط: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾.

الفوائد والقيم من السورة

- العدل فريضة حتى على النبي كما حدث مع داود.
- الملك نعمة وفتنة، إنْ شَغَل عن الله زال.
- البلاء ليس دليلًا على غضب الله، بل قد يكون رفعًا للدرجات.
- الله لا يُهمل وسيحاسب كل متكبر ومكذب.

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

سورة الأعراف سورة مكية، عدد آياتها ٢٠٦ آيات، وتُعدُّ من أطول سور القرآن، وتتميَّز بأنها جمعت قصصًا كثيرة من حياة الأنبياء، وركَّزت على الصراع بين الحق والباطل، وبين الإيمان والكِبر، وتحذِّر من عاقبة التكذيب والعناد.

الأعراف: مكان مرتفع بين الجنة والنار، فيه قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فينتظرون حكم الله فيهم، سيرون أهل الجنة وأهل النار، ويُعرفونهم من ملامحهم. قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾.

قصة نزول السورة ومضمونها

السورة تسرد قصص سبعة من الأنبياء مع أقوامهم لتبيِّن: دعوة الأنبياء كانت واحدة: التوحيد، وردُّ الأقوام واحد: تكذيب، استهزاء، عناد، والنهاية واحدة: النجاة للمؤمنين، والهلاك للمكذبين.

آدم عليه السلام

الله خلق آدم، وأمر الملائكة بالسجود له، رفض إبليس وقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾، فطُرِد من رحمة الله، أغوى إبليس آدم وزوجه، فأكلا من الشجرة، ونَزَلا إلى الأرض. ومن هنا بدأ الصراع بين الإنسان والشيطان.

نوح عليه السلام

دعا قومه ٩٥٠ سنة، واستهزأوا به، وكذَّبوه، صنع السفينة، وأنجاه الله، وأغرق الكافرين.

هود عليه السلام (قوم عاد)

كانوا جبابرة أقوياء، وكانوا يقولون: من أشد منا قوة؟ فأرسل الله عليهم ريحًا شديدة فأهلكهم.

صالح عليه السلام (قوم ثمود)

أرسل الله إليهم ناقة معجزةً، كذَّبوا وعقروها، فأخذتهم الصيحة فهلكوا.

لوط عليه السلام (قوم لوط)

فاحشة الشذوذ انتشرت فيهم. دعاهم لوط للتوبة، لكنهم كذَّبوا، فدمر الله مدينتهم بحجارة وسجيل.

شعيب عليه السلام (مدين)

كانوا يغشُّون في الميزان والمعاملات، فدعاهُم شعيب للعدل والتقوى، كذَّبوه فأخذهم الله بعذاب يوم الظلَّة.

موسى عليه السلام (وقوم فرعون وبني إسرائيل)

القصة الأطول في السورة، حيث دعوة موسى لفرعون، ومعجزة العصا واليد، ثم فرعون يتكبر ويكذِّب، وخروج بني إسرائيل، ثم غرق فرعون، ثم فتنة بني إسرائيل بعبادة العجل، ثم قصة السامري، والتوبة، والتيه في الصحراء.

الفوائد والقيم من السورة

- التكذيب طريق الهلاك مهما كانت القوة أو العدد.
- الشيطان عدو قديم، لا يزال يُغوي كما أغوى آدم.
- المعجزات لا تُجدي إذا لم يكن في القلب صدق.
- العدل الإلهي دقيق، حتى من تساوت حسناته وسيئاته له موقف خاص (الأعراف).
- الدعوة تحتاج إلى صبر طويل، كما صبر الأنبياء.

سُورَةُ الْجِنِّ

سورة الجن سورة مكية، عدد آياتها ٢٨ آية، نزلت لتُخبرنا عن حادثة عجيبة وقعت أثناء دعوة النبي ﷺ، وهي استماع الجن للقرآن الكريم وتأثرهم به، حتى آمن بعضهم وأسلموا، ثم عادوا لقومهم يُبلغونهم. وتُعد هذه السورة رسالة للعالمين (الإنس والجن) بأن القرآن هدى للجميع، وأن الجن مثل البشر فيهم المؤمن والكافر، وفيهم من يستمع ويتَّبع.

قصة نزول السورة ومضمونها

في ليلة هادئة، كان النبي محمد ﷺ قائمًا يقرأ القرآن في وادٍ قريب من مكة. لم يكن يعلم أن هناك كائنات خفية تراقبه من بعيد؛ إنهم الجن، مخلوقات لا نراها، لكنهم يسمعون كما نسمع.

كانوا قد جاؤوا من أماكن بعيدة، بعدما مُنعوا من الصعود إلى السماء وسماع أخبار الملائكة. كانوا يبحثون عن السبب، حتى قادتهم أقدار الله إلى صوت النبي ﷺ يتلو القرآن.

وقفوا في سكون والدهشة تملأ قلوبهم. آيات القرآن تتردد في الوادي، تملأ الليل نورًا، وتشرح الصدور حقًّا، حين انتهى النبي ﷺ من القراءة، أسرع الجن عائدين إلى قومهم، تتسابق كلماتهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾.

أعلنوا إيمانهم فورًا، وأخذوا يحذرون قومهم من الكفر والعصيان، ويبينون لهم أن الجن أنفسهم ليسوا سواء؛ منهم المؤمنون الصالحون، ومنهم الكافرون المعتدون.

وتحدثوا عن قدرتهم المحدودة، وعن أن القوة والملك لله وحده، وأنه لا أحد يملك أن يحمي نفسه إلا برحمة الله.

بهذه الحادثة العجيبة، عرف العالم أن رسالة الإسلام ليست للبشر فقط، بل للجن أيضًا، وأن القرآن معجزة تهدي كل من يسمعها بصدق، مهما كان جنسه أو شكله.

الفوائد والقيم من السورة

- القرآن يهدي حتى الجن! فكيف يُعرض عنه بعض البشر؟
- الإيمان بالجن حق، وهم مخلوقات مكلفة مثلنا.
- العاقل من يستجيب للحق حين يسمعه، كما فعل الجن.
- الغيب لله وحده، لا يعلمه نبي ولا جن ولا ملك إلا إنْ أَذِن الله.

سُورَةُ يٰس

سورة يس سورة مكية، عدد آياتها ٨٣ آية، وتُعرف بـ«قلب القرآن»، وهي سورة تثبيتٍ وتعزيةٍ للنبي محمد ﷺ أمام تكذيب قومه، وتحتوي على قصة رمزية بليغة عن أصحاب القرية الذين جاءهم المرسلون فكذَّبوهم، ثم جاء رجل مؤمن من أقصى المدينة يدعوهم للإيمان.

قصة نزول السورة ومضمونها

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾؛ أرسل الله رسولين إلى أصحاب القرية (لم تُسمَّ لكن بعض المفسرين قالوا: أنطاكية). فكذبهم القوم فزادهم الله ثالثًا تأكيدًا للحجة قالوا لهم: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ لكنهم قالوا: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾. وفي وسط التكذيب خرج رجل بسيط من أقصى المدينة يركض! ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾، لم يكن نبيًّا ولا ملكًا ولا فقيهًا، بل مؤمن صادق. قال لهم: ﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾... ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، كان كلامه صادقًا من قلبٍ مؤمن لا يريد شيئًا لنفسه فقط أن ينجو قومه. لكن القوم لم يسمعوا وقتلوه، وهنا تحدث المعجزة؛

فعلى الرغم من أن القوم قتلوه فإن الله أكرمه فورًا: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾، يا لها من لحظة، لم ينتهِ المشهد بالهزيمة، بل بدأت رحلته الحقيقية في الجنة!

قال متحسرًا: ﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾؛ فكأنه يقول لهم من عالم الغيب: ليتكم سمعتم.. ليتكم صدَّقتم.. ليتكم سجدتم لله قبل فوات الأوان.

الفوائد والقيم من السورة

- الحق لا يحتاج إلى كثرة، بل إلى صدق وثبات.
- رجل واحد غير مرسَل لكن موقفه كان أبلغ من القوم كلهم.
- القصة تُسلِّي النبي ﷺ، وتعلِّمه أن الدعوة تحتاج إلى صبر ورباطة جأش.

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

سورة الفرقان سورة مكية، عدد آياتها ٧٧ آية، واسمها مستمد من الآية الأولى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾، والـ«فرقان» هو القرآن، لأنه يفرِّق بين الحق والباطل.

قصة نزول السورة ومضمونها

في مكة، حيث كانت الأصنام تُعبد، والناس يتيهون بين الخرافات والجهل، نزلت آيات عظيمة تهز القلوب، تبدأ بتمجيد الله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾.

الفرقان كتاب فريد، أنزله الله على نبيه محمد ﷺ، ليميز بين الحق والباطل، والنور والظلام، لكن المشركين لم يتقبلوا هذا النور، وبدأوا يسخرون قائلين: «ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ لو كان نبيًّا حقًا، لجاء معه ملك، أو كان عنده كنز، أو جنة يأكل منها!».

حين يصبح القرآن «أساطير»

لم يكتفوا بالاعتراض، بل اتهموا القرآن ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ والردّ يأتي هادئًا قويًا: هو تنزيل من الذي يعلم السر في السماوات والأرض.

ثم تفتح السورة ستار الآخرة يوم تُقلب الموازين، ويظهر ما كان مخفيًّا.

ومن أشدّ مشاهدها وقعًا صاحبُ السوء، والندم على الصحبة التي أضاعت العمر ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾.

ثم يأتي السبب ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾.

هنا السورة تُنبهك بعض الذنوب لا يأتي وحده، يأتي في صورة «صديق» و«جلسة» و«مزاج».

شكوى النبي ﷺ من قومه

من اللقطات التي تقف عندها طويلًا: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾؛ «مهجورًا» ليست فقط ترك التلاوة، بل ترك العمل، وترك التحاكم إليه، وترك أن يُصلح القلب.

الفوائد والقيم من السورة

- القرآن هو الفرقان الحقيقي بين الحق والباطل.
- من علامات الإيمان: التواضع، وترك الشرك، واجتناب الكبائر، والتوبة، وقيام الليل.
- الصحبة السيئة تجرُّ إلى الندم.
- هجر القرآن مذموم سواء بعدم تلاوته أو عدم العمل به.

سُورَةُ فَاطِرٍ

سورة فاطر، وتُسمى أيضًا سورة الملائكة، سورة مكية، عدد آياتها ٤٥ آية، وتركِّز على بيان قدرة الله تعالى وعظمته في الخلق والتدبير، وتردُّ على شبهات المشركين الذين يُشركون بالله وتُذكِّرهم بنِعَم الله وعاقبة المكذبين.

قصة نزول السورة ومضمونها

السورة تفتح لنا الستار على الكون كلّه، سماءٌ مرفوعة بلا عمد، وأرضٌ ممدودة، وريحٌ تسوق السحاب، ثم مطرٌ يوقظ الأرض بعد موتها، في هذا المشهد المهيب يعلو النداء: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ هو الخالق من العدم، المبدئ بلا مثال، الذي جعل من الملائكة رسلًا ذوي أجنحة، يزيد في الخلق ما يشاء، كل شيء يتحرّك بنظام، وكل نعمة تُنادي: هذا من فضل الله، فكيف يُنسى المُنعم؟

رحمة تُفتح، فلا تُغلق

تتتابع النعم على البشر، رزقٌ بعد رزق، ونَفَسٌ بعد نَفَس، فيأتي البيان الواضح: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾.

لا أحد يمنع ما أراد الله، ولا أحد يعطي ما منعه.

ثم يُسأل الناس سؤالَ توقيف ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ لكن كثيرين مع وضوح الجواب، أعرضوا.. وانشغلوا بزينةٍ زائلة، ووعدٍ كاذب.

خداع الشيطان

يمشي الإنسان في الحياة، يظنّ أن الوقت طويل، وأن الحساب بعيد، فيأتي التحذير الرحيم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾.

فالشيطان لا يأتي بالسلاسل، بل بالوعود، ولا يدعو إلى النار صراحة، بل يزيّن الطريق إليها.

﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

الفوائد والقيم من السورة

- التوحيد قائم على العقل والنظر في خلق الله.
- الشيطان عدوٌ لا يملك شيئًا لكنه يُضلُّ.
- أهل العلم هم أكثر الناس خشيةً لله.
- القرآن ميراثٌ عظيم، ويُعامل الناس بحسب عملهم لا نسبهم.

سُورَةُ مَرْيَمَ

سورة مريم سورة مكية، عدد آياتها ٩٨ آية، وتتميَّز بأنها من أرقى سور القرآن في العرض القصصي، إذ تجمع بين: الرحمة، والمعجزات، والمحن، والثبات على الإيمان، وهي السورة الوحيدة التي سُمِّيت باسم امرأة في القرآن، وهي مريم بنت عمران عليها السلام تكريمًا لها ولطهارتها.

قصة نزول السورة ومضمونها

في محرابٍ هادئ، بعيدًا عن أعين الناس، وقف عبدٌ صالح وقد وهن العظم منه، واشتعل الرأس شيبًا، لم يكن يطلب مالًا ولا جاهًا، بل كان قلبه معلّقًا بوعد الله.. رفع يديه وهمس بدعاء خاشع: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾.

كان يخشى أن يضيع الدين من بعده، فتمنّى ولدًا صالحًا يرث النبوّة والهداية، فجاءه الجواب الذي لا يُخيّب من رجاه: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾.

ولدٌ يأتي رغم الكِبَر، ليكون آية أن الله إذا أراد شيئًا قال له: كن، فيكون.

مريم والابتلاء العظيم

في مكانٍ بعيد، اعتزلت فتاةٌ طاهرة الناس، وانشغلت بعبادتها، فجاءها أمر لم يخطر على قلب بشر ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾.

ارتجف قلبها خوفًا، لكن جاءها الوعد المطمئن: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾.

تعجّبت، كيف يكون لها ولد ولم يمسسها بشر؟

فكان الجواب الحاسم: ﴿كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾.

حملت مريم همًّا ثقيلًا، لا في جسدها فقط، بل في قلبها، كيف ستواجه الناس؟

الألم، ثم الفرج

جاءها المخاض وحدها، تحت جذع نخلة، لا نصير ولا أنيس، صرخت من شدّة الألم: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾.

لكن الرحمة سبقت الألم ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝٢٤ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾.

رزقٌ في أشدّ لحظات الضعف، وعزاءٌ لمن ظنّ أن الطريق انتهى.

الكلام الذي أسكت الجميع

عادت مريم تحمل طفلها، فانهالت التهم، وتطايرت الكلمات الجارحة، مع كل ذلك لم تجادل ولم تُدافع، بل أشارت إلى طفلٍ رضيع.

وهنا وقع ما لم يتوقّعه أحد ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

تكلم الطفل، وبرّأ أمَّه، وأعلن عبوديته لله، ليكون آيةً للعالمين.

الفوائد والقيم من السورة

- الله قادر على كل شيء: ولادة من عاقر، وولادة من غير أب.
- الثبات في الابتلاء؛ كما فعلت مريم وهي وحدها.
- العقيدة أساس كل دعوة: كل الأنبياء دعوا للتوحيد.
- الرحمة هي محور السورة؛ وقد ورد لفظ «الرحمن» كثيرًا جدًّا.

سُورَةُ طٰه

سورة طه سورة مكية، عدد آياتها ١٣٥ آية، وهي من أعظم سور القرآن في عرض قصة موسى عليه السلام، حيث تُفصِّلها بتسلسل مؤثر وتربطها برسالة النبي محمد ﷺ.

قصة نزول السورة ومضمونها

في ليلٍ صحراوي قاسٍ كان موسى عليه السلام يسير بأهله من مدين إلى مصر، والبرد يلسع، والطريق يتيه، والظلام دامس، فجأة، يرى نارًا من بعيد، بصيص أمل وسط العتمة ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾.

يمشي وحده، كل خطوة تقرّبه من النور، لكن النور هذه المرة ليس نارًا تُدفئ اليد، بل نداء يهزّ الروح.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ۝١١ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

ثم تأتي الكلمات التي لا يثبت أمامها قلب إلا بخشوع: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾.

ليس لقاءً عابرًا، إنها بداية رسالة.

العصا تتحول، والخوف أصبح الطمأنينة

يسأل الله موسى سؤالًا بسيطًا، لكنه يفتح باب الآية: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾.

ثم يأتي الأمر: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾.

يلقيها فإذا المفاجأة: ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾.

يرتد القلب خطوة، الخوف طبيعي، لكن الله يعلّم موسى كيف يقف فوق خوفه: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾.

ثم آية أخرى تزيد اليقين نورًا ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾.

والهدف واضح: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾.

المهمة التي تُثقِل الجبال

ثم يأتي التكليف الذي يجعل القلب يدرك ثِقل الرسالة: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾.

فرعون، الاسم الذي ترتجف له القلوب: سلطة، بطش، كبرياء، وجيش.

موسى لا يهرب، لكنه يعرف حاجته إلى عون ربّه، فيدعو دعاء القائد قبل المعركة: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۝٢٦ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۝٢٨ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝٢٩ هَارُونَ أَخِي ۝٣٠ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾.

ثم يذكر سبب ذلك كله: أن يبقى الله حاضرًا في كل لحظة: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾، فيأتي الجواب الذي يرفع الحمل: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ﴾، ويذكّره الله بنعمه القديمة عليه، كأنها تقول: الذي حفظك صغيرًا، لن يتركك الآن.

أرض الخطر، قبل المواجهة

يدخل موسى وهارون إلى أرض الخطر ومع ذلك، أول توجيه ليس صراخًا ولا تهديدًا، بل أخلاق دعوة: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾.

لكن موسى يعرف طبيعة الطغاة، فيقول بخوفٍ صادق: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾.

فيأتيه الأمان: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾.

هنا، تبدأ المواجهة.

يوم الزينة، السحر يلمع، ثم يسقط

فرعون لا يريد الحقيقة، يريد إبهارًا يُسكت الناس، فيجمع السحرة ويحدد موعدًا عامًا: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾.

يجتمع الناس، العيون معلّقة، السحرة جاهزون، ثم يحدث المشهد الكبير: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾.

القلب يهتز لحظة: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾.

لكن يهبط التثبيت فورًا: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾.

يلقي موسى، فتبتلع الآية كل الزيف، ويصمت السوق، ثم تحدث المفاجأة التي كسرت غرور فرعون: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾.

فرعون يجنّ ويهدد بالتقطيع والصلب: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾.

لكن السحرة -الذين جاءوا ليأكلوا المال- صاروا فجأة رجال يقين: ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

يا لها من لحظة، في قلب القصر، يسقط السحر، ويولد الإيمان.

الهروب الكبير، والبحر يفتح طريقًا

يشتد الطغيان، فيأتي أمر النجاة: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾.

يعبرون، وفرعون يطارد، ثم النهاية التي تُسكت الطغاة إلى الأبد: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾.

الفتنة بعد النجاة، العِجل

بعد أن نجا القوم ورأوا الآيات، ظننت أن القصة انتهت، لكنها تبدأ من جديد داخل النفس، يذهب موسى لميقات ربه، مستعجلًا للشوق والموعد: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾.

لكن تأتي المفاجأة الثقيلة: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾.

عاد موسى وقلبه يغلي رأى قومه حول عجلٍ مصنوع، له خوار ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ يا له من سقوط، بعد النجاة مباشرة!

غضب موسى بشدة وألقى الألواح وعاتب أخيه هارون: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾، ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾.

ثم يواجه موسى أصل الفتنة الذي صنع لهم عجلًا ليعبدوه، رجل أسمه «السامري» ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ۝٩٥ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾، ثم يأتي الحكم الذي يفضح الخداع ويطوي الفتنة.

الفوائد والقيم من السورة

- الله يُهيئ الأنبياء قبل أن يُرسلهم.
- الثقة بالله هي طريق النجاة مهما اشتد الخطر.
- المعجزات لا تنفع من في قلبه كبر كفرعون.
- الفتن تأتي بعد النعم إذا غفل الناس كما فعل بنو إسرائيل.

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

سورة الواقعة سورة مكية، عدد آياتها ٩٦ آية، وتُعرف باسم «سورة الغِنى»؛ لأنها تتحدث عن يوم القيامة، وتُقسِّم الناس إلى ثلاث فئات بحسب مآلهم الأبدي، مع مشاهد بليغة من البعث والنعيم والعذاب.

قصة نزول السورة ومضمونها

في ليلة هادئة من ليالي مكة، حيث يسكن السكون في جنبات الصحراء، نزلت سورة من أعظم سور القرآن، تهز القلوب، وتفتح الأعين على مصير محتوم لا مفر منه. إنها سورة الواقعة، السورة التي تبدأ بعبارة لا تُبقي للشك مجالًا: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾.

أي إذا وقعت القيامة، ليس في الأمر «هل ستقع؟»، بل «متى ستقع؟»، فهي قادمة، بلا ريب، بلا شك، بلا تأجيل، وتبدأ الرحلة العجيبة.

تتخيل أن الأرض ترتجف، والجبال تتناثر كالغبار، لا وزن لها، لا هيبة، كانت شامخة، فأصبحت هباءً منثورًا. وتُقسِّم الناس في ذلك اليوم العظيم إلى ثلاث فئات، وهنا يبدأ المشهد الذي يخطف الأنفاس.

أصحاب اليمين، في نعيم لا يُوصف

هم أهل الإيمان، الذين عاشوا في الدنيا يتقون الله، ولم تغرَّهم زخارف الحياة. في الجنة، على أسرَّة منسوجة من الحرير والذهب، يتكئون، يضحكون، يقطفون من الفاكهة ما يشتهون، لا تعب، لا مرض، لا حزن. ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ الهواء عليل، والطعام لذيذ، والقلوب مطمئنة. والأُنس في الجنة لا يشبه شيئًا مما عرفوه في الدنيا.

السابقون السابقون، المقربون

لكن هناك من هم أعلى، نخبة الصفوة، سَبَقوا الناس بالإيمان، والعبادة، والتضحية. هؤلاء لا يُقارَنون بأحد، ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾، وجوههم مشرقة، يُجلَسون في مقاعد الملوك، يُسقَون من خمرٍ لذَّته لا توصف، لا يُذهِب العقلَ بل يُنعشه، هم الذين صدَّقوا الوعد قبل أن يُرى، وثبَتوا حين زاغت الأبصار.

وأما أصحاب الشمال، فالعذاب

لكن المشهد يتغيَّر، وجوهٌ باسرة، أرواحٌ تُسحب قسرًا، وصرخات تتعالى. أصحاب الشمال، الذين غرتهم الحياة، أنكروا البعث، استهزؤوا بالرسل، تلاعبوا بالحق، وظنُّوا أن الحساب خرافة، ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝٤٢

وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾؛ لا ظل يَقِي، ولا ماء يَروِي، عذابٌ لا يتوقف، وندم لا يُجدي. هناك يدركون الحقيقة، لكن بعد فوات الأوان.

وأخيرًا، القرار عندك

سورة الواقعة لا تترك القارئ كما كان. إنها توقظه من سباته، تُشعل قلبه شوقًا، أو خوفًا. إنها سورة الاختيار المصيري هل تكون من السابقين؟ أو أصحاب اليمين؟ أم تُترك مع أصحاب الشمال؟

القرار اليوم... قبل أن تقع الواقعة.

الفوائد والقيم من السورة

- لا تتساوى الدرجات في الآخرة، فاسعَ أن تكون من السابقين.
- العمل هو الميزان لا النسب ولا المال.
- الدنيا مزرعة للآخرة فازرع فيها ما تُحب أن تحصده هناك.
- الموت قادم فهل أعددت له؟

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

سورة الشعراء سورة مكية، عدد آياتها ٢٢٧ آية، وتُعد من أعظم السور في عرض تاريخ الدعوة الإلهية عبر أنبياء الله، إذ تعرض قصص سبعة أنبياء مع أقوامهم وتُركِّز على مواجهة الحق للباطل ورفض الطغاة والكفار للرسالة رغم وضوحها، وسُمّيت «الشعراء» لأن الله في نهايتها ذكر الشعراء مفارِقًا بينهم وبين الأنبياء، إذ الشعراء قد يضلُّون الناس، بينما الأنبياء يهدون إلى الله بالوحي.

قصة نزول السورة ومضمونها

في ظلال مكة، حيث كانت قريش تتفاخر بالكلمات، وتتباهى بالشعراء والخطباء، نزلت سورة تهزُّ وجدان كل من يتذوق اللغة، لكنها لم تكن قصيدة، بل أعظم من الشعر، وأبلغ من البيان. إنها سورة الشعراء، ولكن الغريب أنها تبدأ بنداء حزين، ممتلئ بالعاطفة: ﴿طسم ۝١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، تصور نبيًّا يحب قومه حتى يكاد يهلك نفسه حزنًا لأنهم لا يؤمنون. مشهد البداية

ليس نداء غضب، بل نداء شفقة ورحمة، ثم تبدأ القصة، كأنك تشاهد فيلمًا عظيمًا، كل مشهد فيه يعرض قصة نبي، صراعًا، ومعجزة، ونهاية.

موسى عليه السلام.. التحدي الأكبر

يبدأ العرض بمشهد قوي... موسى عليه السلام، واقف أمام فرعون، الطاغية الذي قال: «أنا ربكُم الأعلى». موسى لا يهاب، يمسك عصاه، يرميها، فتتحول إلى حيَّة تسعى. ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾. يستدعي فرعون السحرة، ويتحدَّى، لكنهم يسجدون حين يرون المعجزة الحقيقية. النصر ليس لموسى وحده، بل للحقِّ على الباطل.

إبراهيم عليه السلام – منطق الإيمان

يظهر إبراهيم شابًا، لا يخشى في الله لومة لائم، يكسر الأصنام، ويقف في وجه قومه ويقول: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝٧٩...﴾، حجج من نور، وعقل يشرق بالإيمان، لا جدل، لا خوف، هكذا يكون التوحيد في أجمل صوره.

ثم تتوالى المشاهد السريعة

كل مشهد أقصر من الذي قبله، لكنه مشحون بالقوة:

نوح عليه السلام، يدعو قومه ليلًا ونهارًا، وهم يسخرون، ثم يأتي الطوفان، وهود عليه السلام، يواجه قوم عاد، الجبابرة، فيكذبونه، فتأتي الريح العاتية، وصالح عليه السلام، يُري قومه الناقة، لكنهم يقتلونها، فيُهلكهم الله، ولوط عليه السلام، يدعو لقومه أن يتوبوا من الفاحشة، فيكابرون، فيأتيهم العذاب من السماء، وشعيب عليه السلام، ينهاهم عن التطفيف والظلم، فيكذبونه، فيُؤخذون بصيحة واحدة.

فلماذا سميت «الشعراء»؟

في نهاية السورة، يأتي الجواب: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾؛ ففي زمان النبي ﷺ، كان الناس يعظمون الشعراء، ويتبعونهم بلا عقل، فجاء القرآن يميز: هناك شعراء يقولون ما لا يفعلون، وهناك استثناء جميل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا...﴾. ليس كل شاعر مذمومًا، بل هناك من جمع الشعر مع الإيمان، فصوته نور، وكلماته هدى.

الفوائد والقيم من السورة

- الحق لا يرتبط بالكثرة، أكثر الناس لم يؤمنوا رغم الآيات.
- سنة الله لا تتغير؛ فمن كذَّب الأنبياء هلك.
- الصبر والثقة بالله مفتاح النصر.
- الدعوة تحتاج حكمة وثباتًا على الرغم من الاستهزاء.
- الفن والشعر لهما قيمة إذا خدما الحق لا الباطل.

سُورَةُ النَّمْلِ

سورة النمل سورة مكية، عدد آياتها ٩٣ آية، وسُمِّيت بهذا الاسم لورود قصة نملة فيها كلمت قومها بلغة واضحة وفصيحة ضمن قصة سليمان عليه السلام. والسورة تُركِّز على دلائل التوحيد، ومعجزات الأنبياء، وعاقبة المكذبين.

قصة نزول السورة ومضمونها

في قديم الزمان عاش نبيٌّ ملك اسمه سليمان آتاه الله ملكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده وسخَّر له الجن والإنس والطير فكان يفهم لغتهم جميعًا. كان سليمان عليه السلام يسير في أرض الله يراقب جنده ويعلمهم النظام والعدل.

وفي يومٍ من الأيام مرَّ سليمان وجنوده على وادٍ للنمل، فسمع نملةً تقول لأخواتها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

تبسَّم سليمان ضاحكًا من قولها وشكر ربه أن أعطاه نعمة الفهم والحكمة.

ثم غاب طائر من طيوره هو الهدهد. وعندما عاد أخبره الهدهد بأمرٍ عجيب: وجد قومًا في أرض سبأ تحكمهم ملكة عظيمة اسمها بلقيس، ولهم عرش مهيب لكنهم يسجدون للشمس من دون الله!

أرسل سليمان رسالة مع الهدهد فيها دعوة للملكة بأن تترك عبادة الشمس وتؤمن بالله الواحد. فاجتمعت بلقيس بقومها وتفكرت وأرسلت هدية لسليمان، لكنه رفضها، وأخبرهم أنه لا يُشترى بالذهب، بل جاءهم بدعوة الحق.

وقبل أن تصل بلقيس إلى سليمان طلب من جنوده أن يأتوه بعرشها العظيم، فعرض عفريت من الجن أن يأتي به قبل أن يقوم سليمان من مقامه، ثم قال رجل يسمى (آصف بن برخيا) عنده علم من الكتاب قال: سأتي به في طرفة عين، ثم غيَّر سليمان عرشها ليمتحن عقلها.

وصلت بلقيس فرأت عرشها، وذهلت، وعندما دخلت القصر الزجاجي حسبته ماءً فكشفت عن ساقيها، فأدركت عظمة الله وقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وفي ختام السورة، يذكِّر الله الناس بآياته ويعظهم بقصص الأقوام السابقة الذين كذَّبوا الرسل، مثل ثمود وقوم لوط، ويحذِّر من الغرور والتكذيب؛ لأن الحق بيِّنٌ ولكن لا يَهتدي إليه إلا من يطلب النور.

الفوائد والقيم من السورة

- العلم نعمة عظيمة إذا استُخدم في طاعة الله.
- الحكمة في الدعوة مثلما فعل سليمان مع بلقيس.
- الضعفاء (كالنملة) قد يُلهمهم الله كلمات عظيمة.
- حتى الملوك إن صدقوا يُسلمون لله.

سُورَةُ الْقَصَصِ

سورة القصص سورة مكية، عدد آياتها ٨٨ آية، وتُسمى بهذا الاسم لأنها تحوي قصة موسى عليه السلام من البداية بتفصيل فريد، خاصة الجزء الذي لم يُذكر بهذه الدقة في غيرها: مولده، تربيته في قصر فرعون، هروبه من مصر، وعودته نبيًّا.

قصة نزول السورة ومضمونها

في زمنٍ كان النبي ﷺ والمؤمنون فيه يمرّون بأشدّ مراحل الأذى والتكذيب، كان المشركون يستهزئون، ويقولون: كيف يكون محمد نبيًّا وهو فقير؟ ولو كان نبيًّا لأعطاه الله مُلكًا أو كنزًا!

فأنزل الله هذه السورة ليقول للنبي ﷺ وللمؤمنين: انظروا إلى قصة موسى، كيف بدأ ضعيفًا مطاردًا، ثم جعله الله نبيًّا، ونصره على أعظم طاغية في زمانه.

فالسورة جاءت تثبيتًا للرسول ﷺ، وتعليمًا أن النصر لا يُقاس بالبدايات، بل بالخواتيم، وأن الله يدبّر الأمور من حيث لا يحتسب البشر.

طغيان فرعون، وبداية الحكاية

في أرض مصر، كان فرعون قد بلغ الغاية في الظلم، قسّم الناس طبقات، واستضعف بني إسرائيل، يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم، خوفًا على ملكه، وطمعًا في بقائه، وكان القصر مليئًا بالذهب، لكن القلوب فيه كانت فارغة من الرحمة، وفي هذا الجوّ القاتم، أراد الله أن يبدأ أعظم قصة... من أضعف مكان.

طفلٌ يولد، والخوف يملأ القلوب

في بيتٍ فقير من بيوت بني إسرائيل، وُلد طفل، لم يكن يعلم أحد أن هذا الطفل سيكون هلاك الطغيان، لكن قلب أمّه كان يرتجف خوفًا، كانت تعلم أن أعين جنود فرعون تبحث عن كل مولود ذكر، لكن الله الذي يرى دموع القلوب قبل دموع العيون، أوحى إليها: ﴿أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

كيف تُلقي الأم رضيعها في النهر؟! إنه أمر يفوق طاقة البشر! لكنه حين يأتي من الله، يتحوّل الخوف إلى يقين، وضعت الطفل في صندوق، وألقته في النيل، والدموع تسبق يديها، لكنها لم تكن دموع يأس، بل دموع ثقة بالله.

من النهر إلى القصر

جرت المياه بالصندوق، لا إلى الهلاك، بل إلى قصر فرعون نفسه، هناك التقطته يد القدر، قبل أن تلتقطه يد البشر، فدخل الطفل القصر، فرأته امرأة فرعون، فرقّ قلبها له، وقالت كلمتها الخالدة: ﴿قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ﴾.

وهكذا، ربَّى فرعون في قصره، وعلى مائدته، عدوَّه الذي سيكون سبب هلاكه، إنها سخرية القدر حين يكون الله هو المدبِّر، لكن الطفل رفض كل المرضعات، إلا واحدة، وكانت هي أمّه نفسها! عاد إلى صدرها، ترضعه بأمان، وتأخذ أجرًا، وقد تحقّق وعد الله: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾.

موسى يكبر، والقدر يتهيّأ

كبر موسى عليه السلام، قويّ الجسد، حيّ القلب، وفي يومٍ من الأيام، دخل المدينة فوجد رجلًا من قومه يُستضعف، ورجلًا من قوم فرعون يظلمه، دافع موسى عن المظلوم، فضرب الظالم ضربةً لم يقصد بها القتل، لكنها أنهت حياته.

اهتزّ قلب موسى، واستغفر ربّه، وعلم أن المقام في مصر لم يعد آمنًا، وجاءه رجل يسعى، ينصحه بالخروج فورًا، فخرج موسى من مصر خائفًا يترقّب، بلا مال، بلا أهل، بلا وجهة واضحة، إلا وجهة واحدة: الله.

إلى مدين، حيث الرحمة بعد التعب

وصل موسى إلى مدين، منهكًا جائعًا، وجد عند البئر قومًا يسقون، وامرأتين تذودان غنمهما حياءً وضعفًا، فسقى لهما، ثم جلس في الظل، وقال من أعماق قلبه: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

لم تمرّ ساعات حتى جاءه الخير: بيت، وأمان، وزوجة صالحة، وعمل كريم، هكذا يعلّمنا الله في سورة القصص: من يترك شيئًا لله، يعوّضه الله خيرًا منه.

النار، وبداية الرسالة

بعد سنوات، خرج موسى بأهله في ليلة باردة، فرأى نارًا من بعيد، اقترب... فكانت النار نورًا، وكان النداء نداء السماء: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

اصطفاه الله، وأرسله إلى فرعون، وأيّده بالآيات: العصا، واليد، والمعجزات، وعاد موسى إلى مصر، لا خائفًا هذه المرّة، بل نبيًّا يحمل رسالة.

المواجهة، والنهاية الحتمية

وقف موسى أمام فرعون، بكل ثبات: ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

تكبّر فرعون، وسخر، وكذّب، فكانت النهاية كما هي دائمًا مع الطغاة، وانشقّ البحر، ونجا موسى وقومه، وغرق فرعون وجنوده.

الفوائد والقيم من السورة

- تُظهر قصة موسى كيف أن الضعف مع الله أقوى من القوة بلا إيمان.
- الله يُربِّي أولياءه منذ الطفولة ويُمهِّد لهم الطريق.
- فرعون وقارون: رمزان للاستكبار السياسي والاقتصادي ونهايتهما الهلاك.
- يختم الله السورة بالتأكيد على أن: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾.

سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

سورة الإسراء، وتُسمى أيضًا سورة بني إسرائيل، سورة مكية، عدد آياتها ١١١ آية، وتركز على تكريم النبي ﷺ بالإسراء، وتحذير بني إسرائيل من عواقب الإفساد، وتثبيت النبي في وجه الأذى.

قصة نزول السورة ومضمونها

في ليلةٍ مباركة حدث أمرٌ عجيب لم يحدث مثله من قبل ولم يتكرر بعده. نبيُّ الله محمد ﷺ كان نائمًا في مكة فاستيقظ على نداءٍ من الله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾.

في لحظة خارقة ركب النبي دابةً بيضاء تُدعى البُراق برفقة جبريل عليه السلام، وانطلق من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى في القدس ليصلي هناك بالأنبياء في مشهدٍ يربط بين الرسالات السماوية جميعها.

ثم بدأت الرحلة العظمى: المعراج إلى السماء. صعد النبي ﷺ من سماء إلى سماء، فرأى الأنبياء واطّلع على عوالم الغيب، حتى بلغ سدرة

المنتهى وهناك كلَّمه الله وكلفه بأعظم ركن في الإسلام وهو «الصلاة»، وكانت خمسين صلاة، ثم خفَّفها الله إلى خمس، لكن أجرها كخمسين.

وبعد عودته أخبر النبي قومه فكذَّبه كثيرون، حتى إن أبا بكر قال: «إن كان قال فقد صدق!»، ومن يومها سُمِّي «الصدِّيق».

بني إسرائيل وفسادهم في الأرض

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾.

يحكي الله كيف أن بني إسرائيل سيُفسدون في الأرض مرتين، وكيف سيُعاقَبون.

المرة الأولى: طغوا وأفسدوا فأرسل الله عليهم عبادًا له أولي بأس شديد فأهلكوهم، ودخلوا المسجد الأقصى.

المرة الثانية: عادوا للفساد فبعث الله عليهم عدوًا آخر ليُذلَّهم؛ ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾؛ تحذير: إن كررتم الفساد فسنكرر العقوبة.

وصايا عظيمة من الله هي من أروع وصايا القرآن

لا تشرك بالله، وأحسن لوالديك، ولا تقتل النفس، ولا تقرب الزنا، ولا تقتل ولدك من فقر، ولا تقرب مال اليتيم، وأوفِ الكيل والميزان، ولا تتبع ما ليس لك به علم، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾، ثم قال: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ﴾.

الفوائد والقيم من السورة

- تحذير بني إسرائيل: بأنهم إن أفسدوا في الأرض سيأتيهم عقاب شديد كما حدث في التاريخ.
- الوصايا العشر: تشمل برَّ الوالدين، النهي عن القتل والزنا والبطر، والأمر بالعدل.
- القرآن هدى ورحمة: تذكير بعظمة الوحي، وأن من أعرض عنه فله معيشة ضنك.
- أوامر للنبي بالصبر والثبات وذكر بعض مواقف المستهزئين من قريش.

سُورَةُ يُونُسَ

سورة يونس سورة مكية، عدد آياتها ١٠٩ آيات، وسُمِّيت باسم النبي يونس عليه السلام الذي ذُكر في ختامها كنموذج لقوم آمنوا قبل فوات الأوان فنجوا من العذاب، بخلاف أكثر الأقوام الذين كذبوا الرسل.

قصة نزول السورة ومضمونها

لم يكن الاعتراض الحقيقي عند كثير من الناس على مضمون الدعوة، بل على صاحبها كانوا يعرفونه جيدًا: صدقه، أمانته، سيرته، لكنهم تعجّبوا: كيف يكون رسولًا وهو واحدٌ منا؟ كأنهم يبحثون عن عذرٍ يريحهم من مواجهة الحقيقة، لا عن جوابٍ يهديهم، فجاء القرآن يفضح هذا العجب، ويقول لهم بهدوء: الرسالة ليست غرابة، الغرابة أن يُرفض النور لأنه جاء من طريقٍ مألوف ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾.

الكون شاهد، لكن القلوب غافلة

ثم تأخذك السورة بعيدًا عن ضجيج الجدل، وتضعك أمام مشهدٍ أوسع: سماءٌ مرفوعة بلا عمد، أرضٌ مستقرة، تدبيرٌ لا يختل، ونظامٌ لا ينام، كل شيءٍ يتحرك بأمرٍ واحد، وكل ذرة تعرف موقعها، كأن السورة تقول: من كان هذا فعله في الكون، فكيف يُشكّ في قدرته؟ وكيف يُعبد غيره؟

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾.

حين يُكشف الضر، وينكشف القلب

تدخل السورة إلى داخل النفس البشرية، وتعرض مشهدًا يتكرر في كل زمان خوفٌ شديد، دعاءٌ صادق، دموعٌ حقيقية، ثم ينجّي الله، ويكشف الكرب.

لكن المفاجأة ليست في النجاة، بل فيما بعدها.

بعض القلوب تنسى بسرعة، وتعود إلى المكر، كأنها لم تطرق باب السماء يومًا ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

مشهدٌ صادق، مؤلم، لكنه حقيقي.

قوم يونس، المدينة التي استيقظت في اللحظة الأخيرة

قريةٌ كاملة شعرت أن الخطر قريب، لم تنتظر أن ترى العذاب يقع، ولم تُكابر، تذكّروا نبيّهم، واعترفوا بخطئهم، وانقلب الخوف عندهم إلى توبة صادقة.

لم يكن إيمانهم صرخةَ فزع، بل قرارَ عودة، فاستحقوا ما لم يستحقه غيرهم.. أن يُرفع عنهم العذاب، وأن تُكتب قصتهم استثناءً في القرآن فأصبحوا القوم الوحيدين في القرآن الذين آمنوا جميعًا، فرفع الله عنهم البلاء.

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾.

الفوائد والقيم من السورة

- الإيمان لا ينفع عند نزول العذاب.
- المعجزات لا تُغيِّر من لا يريد التغيير.
- الله رحيم، لكن عقابه شديد إن أُهمل الإنذار.
- القرآن كتاب حق وهداية لا سحر ولا خيال.

سُورَةُ هُودٍ

سورة هود سورة مكية، عدد آياتها ١٢٣ آية، تسير القصة كأنها موكب من أنبياء الله واحدًا تلو الآخر يواجهون أقوامًا طغوا في الأرض وتكبَّروا عن الحق. السورة تبدأ بنداء واضح للنبي محمد ﷺ بالصبر؛ لأنه يسير على طريق سار عليه أنبياء عظام واجهوا الظلم ثم نجاهم الله.

قصة نزول السورة ومضمونها

كانت مكة تضجّ بالأصوات، سوقٌ لا يهدأ، وألسنةٌ لا تتعب من الجدل، وقلوبٌ اعتادت أن تُكذّب ثم تمضي كأن شيئًا لم يكن، وفي وسط هذا الضجيج نزلت كلماتٌ ليست كالكلمات، ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾.

كانت الرسالة واضحة: لا تساوموا على التوحيد، ولا تؤخروا التوبة، فالعمر يمضي أسرع مما تظنون، ثم يبدأ السرد العظيم، كأن السورة تفتح بابًا على «أرشيف البشرية»: أممٌ قامت، ثم انكسرت، لأن المرض واحد: التكذيب والاستكبار.

نوح، حين صار الماءُ حكمًا

وقف نوح وسط قومه كمن يقف وحده أمام بحرٍ من العناد. لم يبدأ بالصراخ ولا بالاتهام، بدأ بدعوةٍ صافية: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾.

لكنهم نظروا إليه باستخفاف: أهذا رسول؟ أين الأتباع الأشراف؟ ومع كل اعتراض، كان نوح يعود لجوهر القضية: ليست دعوةَ جاهٍ ولا مال ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾.

ومضت الأيام، وثقل الرفض، حتى جاءه القضاء: لن يؤمن إلا من آمن، هنا تغيّر كل شيء، تحوّلت الدعوة إلى عملٍ على الأرض: اصنع السفينة.

تخيل المشهد: رجلٌ يبني سفينةً في غير بحر، بين قومٍ يضحكون من حوله. ضحكاتهم كانت سهامًا، لكنه كان يرى ما لا يرون، حتى إذا جاء الموعد، وجاء الأمر الذي تُجمِّده السورة في عبارةٍ مزلزلة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾.

فجأةً صار المألوف مخيفًا: ماءٌ من حيث لا يُنتظر، وسماءٌ لا تمسك قطرها، وأرضٌ تُفجّر خزائنها، وانطلقت السفينة وسط أمواجٍ «كالجبال» ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾.

وفي قلب هذا الهول، امتحانٌ يقطع القلب. نادى نوح ابنه، لا بلسان النبي فقط، بل بلسان الأب المرتجف ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾، لكن الابن رأى «جبلًا» وظنه نجاة: ﴿سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾.

فتأتي الحقيقة كالسيف ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾، وانتهى المشهد بما لا يُقاوم، موجةٌ فصلت بينهما، ثم سكن الطوفان، ونزلت كلمة الختام على الأرض كأنها إعلان نهاية فصلٍ وبداية عِبرة ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾، ووقف نوح بعد النجاة يتعلم درسًا قاسيًا: القرابة لا تنفع مع الكفر، والميزان هو الطاعة ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾.

هود، قومٌ قالوا «مَن أشدُّ منا؟»

ثم تفتح السورة باب الأحقاف -قوم عاد- قوةٌ وعُلوّ لكن القلب فارغ، وقف هود بينهم وقال ببساطة الأنبياء: اعبدوا الله، واتقوا، لكنهم واجهوه بالعناد، فانتهى الأمر إلى قطيعةٍ صريحة: ﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِ﴾، فأرسل الله عليهم ريحًا عاتية دمرت كل شيء، ونجَّى الله هودًا ومن آمن معه.

النبي صالح وثمود، آيةٌ تُكذَّب بعناد

ثمود كانوا أمة «تُتقن البناء»، تنحت الجبال بمهارة، وتعيش إحساس السيطرة، أرسل الله إليهم صالحًا عليه السلام، يأتيهم النبي صالح: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾، ويذكرهم هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ثم يصرخ فيهم: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، لكنهم يسخرون ويستعجلون العذاب، فتأتي لحظة النهاية، ويُصبحون جاثمين: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾.

إبراهيم ولوط، زوّارٌ لا يشبهون الزوّار

وفجأةً يأخذك السرد من صخب الأمم إلى بيتٍ هادئ، إبراهيم عليه السلام، دخل عليه ضيوف، بوقارٍ غريب. قدّم لهم الطعام، فلم تمتد أيديهم. هنا دبّ القلق في قلبه ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾.

قالوا له: لا تخف، ثم جاءت البشرى التي تُنسي التعب: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِإِسْحَاقَ﴾، لكن الزيارة لم تكن بشرى فقط، كانت إعلان مهمة: قضية قوم لوط.

وينتقل المشهد إلى لوط، نبيٌّ في مدينةٍ اعتادت الفاحشة حتى صارت «طبيعة» عندهم، وجاءه الضيوف، وبدأت الأزمة: قومٌ يهرعون للشهوة كأنهم جياع.

وقف لوط وحيدًا أمام الطوفان الأخلاقي، وقال كلمته التي تقطر ألمًا ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، لكن السماء كانت أقرب مما ظن، جاءه اليقين: هؤلاء رسل، ولن يصل إليهم أحد، ثم جاء الفصل الأخير: قلبُ المدينة انقلب، وصارت عبرةً لمن يمرّ ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾.

شعيب، ميزانٌ صغير يهدم أمة

ثم تأتي مدين، الناس هنا لا يعبدون الأصنام فقط، بل يعبدون الربح، الغش عندهم «ذكاء»، ونقص المكيال «شطارة»، فوقف شعيب في سوقهم الكبير، وقال: أصلحوا المعاملة قبل أن تُصلحوا الواجهات، لكنهم ردّوا بكلمةٍ تشبه الاستعلاء المتكرر: أصلاتك تأمرك أن نترك ما يفعل آباؤنا؟ وما هي إلا أيام حتى صاروا كأنهم لم يغنوا بالأمس.

الفوائد والقيم من السورة

- الصبر طريق الأنبياء. والمكذبون لا يدومون.
- نسبك أو مالك لا يُنجيك إن فسدت العقيدة (مثل ابن نوح وقارون).
- العدالة في الاقتصاد من صلب الدين (مثل قوم شعيب).
- الكلمة الصادقة تُثبت القلوب كما أثبت الله قلب النبي ﷺ بسرد هذه القصص.

سُورَةُ يُوسُفَ

سورة يوسف سورة مكية، عدد آياتها ١١١ آية، وهي من أجمل السور القصصية في القرآن، وتحمل قصة نبي الله يوسف عليه السلام من البداية إلى النهاية دون انقطاع أو تكرار كما في قصص أخرى.

قصة نزول السورة ومضمونها

في بيت يعقوب عليه السلام، اقترب يوسف الصغير من أبيه وهمس بخوفٍ ودهشة: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾.

يعقوب فهم الرسالة... وارتجف قلبه من حسد الإخوة: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾. لكن القدر كان قد بدأ يكتب فصوله.

مؤامرة الإخوة، والبئر المظلم

الغيرة تشتعل في صدور الإخوة: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا﴾، فتآمروا... ثم قالوا بخداع: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾.

خرج يوسف معهم... وبدل اللعب، كان هناك بئر. اقتربوا منه... ثم ألقوه في الظلام! ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾.

عادوا بقميصه ملطخًا بالدم الكاذب: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾. يعقوب لم يصدق... وقال كلمته التي تختصر الصبر: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾.

قافلةٌ تمر، وعبدٌ يُباع

في البئر، يوسف وحيد... لكن الله معه، ثم مرت قافلة... أرسلوا واردهم، فإذا به يجد غلامًا! ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾، وبدلًا من إنقاذه كابن نبي... باعوه بثمنٍ قليل: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾. لكن الله كان ينقله خطوة خطوة نحو قدره العظيم.

اختبار القصر، فتنة امرأة العزيز

كبر يوسف في بيت العزيز بمصر، جمالٌ وأدبٌ وعفة. لكن الفتنة جاءت من حيث لا يتوقع... امرأة العزيز أغلقت الأبواب وقالت: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾. فارتج القصر بصرخة الطهر: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾.

هرب يوسف نحو الباب، وتمزق القميص... وظهر الحق: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾، لكن الشائعة انتشرت، ومكر النساء اشتد، والضغط صار أقسى.

السجن، لكن النور لا يُسجن

اختار يوسف السجن على المعصية: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾. دخل السجن مظلومًا... لكنه دخل داعيةً.

رأى صاحبا السجن رؤيا، فقال لهما قبل التفسير: ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾، ثم فسر الرؤيا، وخرج أحدهما، ووعد أن يذكره عند الملك، لكنه نسي. سنوات تمر... ويوسف ثابت.

حلم الملك، وبوابة الخروج

رأى الملك حلمًا أربك مصر كلها: سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف. لا أحد يفسر... حتى تذكر الساقي يوسف!

جاء رسول الملك يدعو يوسف للخروج... لكن يوسف فاجأ الجميع: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾.

لم يخرج حتى تُعرف الحقيقة ويُبرّأ أمام الناس.

اعترفت المرأة: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾.

خرج يوسف مكرّمًا... لا مكسورًا.

من السجن إلى خزائن مصر

بعد تفسير الرؤيا ووضع خطة الإنقاذ من المجاعة، قال الملك: اجعلوه على خزائن الأرض، وقال يوسف بثقة الأمين: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، وبدأت مصر تنجو... بينما المجاعة تضرب البلاد من حولها.

لقاء الإخوة، والامتحان الأخير

جاء إخوة يوسف يطلبون الطعام... ووقفوا أمامه دون أن يعرفوه، يوسف عرفهم... قلبه ارتجف... لكنّه تماسك، وطلب منهم أن يأتوا بأخيه «بنيامين»، ولما جاء، احتضنه يوسف سرًا... ثم دبّر أمر الصواع ليبقيه معه، ثم عاد الإخوة إلى أبيهم... والوجع يتجدد... لكن يعقوب قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾.

كشف الهوية، والغفران العظيم

عاد الإخوة مرة أخرى... منكسرين، فقراء، نادمين، هنا رفع يوسف الستار عن الحقيقة التي حبستها السنوات: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾، ثم قالها صريحة: ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾.

ارتجفت قلوبهم... لكن يوسف لم ينتقم، بل قال كلمة الأنبياء: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

ثم أرسل قميصه ليعود البصر لأبيه: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾.

وجاءت لحظة الختام... اجتماع العائلة... وصدق الحلم: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾.

وقال يوسف: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾.

الفوائد والقيم من السورة

- الصبر مفتاح الفرج: يوسف انتقل من البئر إلى العبودية إلى السجن ثم إلى الوزارة.
- العفة ومقاومة الفتنة.
- العفو عند المقدرة: يوسف سامَحَ من أرادوا قتله.
- التدبير الإلهي أعظم من تخطيط البشر.

سُورَةُ الْحِجْرِ

سورة الحِجْر سورة مكية، عدد آياتها ٩٩ آية، وسُمِّيت بهذا الاسم نسبة إلى ديار ثمود التي كانت تُسمى «الحِجْر»، وتقع شمال غرب الجزيرة العربية (في منطقة العُلا اليوم).

قصة نزول السورة ومضمونها

عاش قوم ثمود في أرضٍ قاسية، فحوّلوا القسوة إلى قوّة، ونحتوا بيوتهم في الجبال، وظنّوا أن الصخر يحميهم من كل خطر، كانوا يدخلون مساكنهم مطمئنّين، لا يخافون عدوًّا، ولا يتوقّعون هلاكًا ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾، لكن الأمن إذا لم يُبنَ على الإيمان، صار غفلةً لا أمانًا.

الآيات التي لم تُوقِظ القلوب

لم يتركهم الله بلا هداية، بل أرسل إليهم الآيات واضحة، تدعوهم إلى التوحيد، وتحذّرهم من الغرور، لكن القلوب كانت قاسية، ترى

الآية، ثم تُعرض عنها: ﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾، لم يكن الإعراض جهلًا، بل اختيارًا متكبّرًا.

الغرور قبل السقوط

ازدادت القوّة، وازداد معها العناد، فقالوا في أنفسهم: نحن في حصونٍ من الجبال، فمن يصل إلينا؟ لكنهم نسوا أن الذي خلق الجبال أقوى من الجبال نفسها: ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، لا عملٌ نفعهم، ولا قوّة دفعت عنهم قدر الله.

الصيحة عند الصباح

جاءهم العذاب فجأة، لا جيش، ولا حرب، ولا فرصة للهرب.

صيحة واحدة، في وقت كانوا فيه في أمانٍ تام ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾، فسقطت القوّة، وانتهى الغرور، وبقيت الجبال شاهدًا صامتًا.

ما الذي تحتويه السورة أيضًا؟

سورة الحجر ليست عن قمود فقط، بل تشمل رسائل عظيمة، قال الله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، وهي من أشهر آيات حفظ القرآن الكريم.

وتثبيت النبي ﷺ يأتي الخطاب الحنون، وقد ضاق صدره من التكذيب ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾.

ويكون الدواء ليس بالجدال، بل بالقرب من الله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾.

الفوائد والقيم من السورة

- الكفار مهما طغوا فإن عذابهم قادم.
- الشيطان لا يستطيع إغواء عباد الله المخلصين.
- الرسل جميعًا عانوا من التكذيب، فاصبر كما صبروا.
- الذي خلق الإنسان من طين قادر على بعثه بعد الموت.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

سورة الأنعام سورة مكية، عدد آياتها ١٦٥ آية، وهي من أعظم سور القرآن التي ركزت على عقيدة التوحيد والرد على الشرك والبدع، وبيان أن الهداية من عند الله وحده، وليست في عبادة الأصنام أو الأوهام.

قصة نزول السورة ومضمونها

في أرضٍ ملأها الشرك والجهل نزلت سورة عظيمة تهدم الأصنام وتُحيي التوحيد، إنها سورة الأنعام، تبدأ السورة بتعظيم الله الخالق لكل شيء: السماء، الأرض، النجوم، الليل، النهار، والحياة، والموت، ثم تمضي لتكشف زيف عبادة الأصنام وتفضح خرافات المشركين الذين جعلوا لأنعامهم (إبلهم وبقرهم وغنمهم) أقسامًا غريبة فقالوا: «هذه للأصنام، وهذه لا يأكلها إلا رجالنا، وهذه لا تُركب». فجاء القرآن يردُّ بقوة ويقول إن الله هو من خلق الأنعام لكم وجعلها رزقًا ونعمة لا لخرافات ولا لأوهام.

وتبدأ رحلة التوحيد

في وسط السورة تُروى قصة إبراهيم عليه السلام الفتى الذي نشأ في قومٍ يعبدون الكواكب والتماثيل. وقف يتأمل في السماء فرأى كوكبًا، فقال: ﴿هَذَا رَبِّي﴾، فلما أفل قال: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾.

ثم رأى القمر، ثم الشمس، وقال لكلٍ منهما: ﴿هَذَا رَبِّي﴾، ثم لما أفلت كلها قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، لكن قومه جادلوا، وأبوه آزر عارضه، فوقف إبراهيم بثبات، محاورًا، مبيِّنًا أن الأصنام لا تنفع ولا تضر، وأن الخالق وحده هو المستحق للعبادة.

مجادلة المشركين

كانت قريش تحاول تحريف أحكام الله في الأنعام، فجعلوا بعض الأنعام حلالًا لهم، وبعضها حرامًا، يزعمون أنه أمر من الله، وهم كاذبون، فنزلت الآيات تفنِّد أكاذيبهم، وتبيِّن أن كل هذه النعم رزق من الله، وأن تحريم الحلال أو تحليل الحرام بغير إذنه افتراء عظيم.

الفوائد والقيم من السورة

- أن الرسل لا يملكون الهداية، وإنما الله يهدي من يشاء.
- أن القرآن فصل بين الحق والباطل.
- أن من أعرض عن ذكر الله يعيش في ظلمات وضيق.
- أن كل نفس بما كسبت رهينة، وأن الله لا يظلم أحدًا.

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

سورة الصافات سورة مكية، عدد آياتها ١٨٢ آية، وتُعدُّ من سور ترسيخ التوحيد وبيان عاقبة الرسل وأعدائهم، وتركِّز على الصفوة من عباد الله الذين اصطفاهم للنبوة، وعلى نُصرة الحق وهلاك الباطل.

قصة نزول السورة ومضمونها

تصوّر لنا سورة الصافات مشهدٍ مهيب من عالمٍ لا نراه صفوفٌ من الملائكة مصطفّة، كجيش نورٍ لا يتقدّم ولا يتأخر، ثم زجرٌ حاسم يُطرد به الباطل ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾.

نوح، «نِعم المجيب»

بعد مشاهد القيامة، تبدأ السورة موكب الأنبياء، كأنها تقول: هؤلاء هم أهل النجاة، وهكذا تكون العاقبة.

أولهم نوح عليه السلام، حين ضاقت به الدنيا فدعا ربه: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ۝٧٥ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾.

ثم تسجل السورة تحيةً خالدة له: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾.

إبراهيم، جدال الأصنام ثم «إني سقيم»

ثم إبراهيم عليه السلام، رجلٌ يرى قومه يعبدون ما لا يسمع ولا يبصر، يسألهم بوضوحٍ يفضح الصنم: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَإِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾.

ثم يقرر أن يواجههم بحيلةٍ تقصم هيبة الأصنام، يقول كلمةً تفتح الباب: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾.

فينصرفون عنه، فيدخل على آلهتهم: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾.

فيثور القوم، ويقررون إحراقه ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ لكن الله يجعل النار بردًا على قلب إبراهيم، وتخرج القصة بآية نجاة ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾.

الذبح العظيم، اللحظة التي تختبر الحب

ثم تصل السورة إلى المشهد الذي يذيب القلب: إبراهيم يدعو ربه ولدًا صالحًا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾.

يكبر الغلام، ويأتي الاختبار الذي لا يشبه أي اختبار.

إبراهيم يرى في المنام أنه يذبح ابنه، فيحكي له لا ليُرعبه، بل ليُشركه في مقام التسليم ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾.

فيأتي جواب الابن الذي يرفع المقام ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.

ثم اللقطة الفاصلة، حين يُسلِّمان: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ وفي لحظة رحمةٍ مهيبة ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾.

ثم الفداء الذي صار ذكرى للأبد: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾.

وتختم السورة هذا المشهد بجملة تختصر كل شيء: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾.

ثم سلامٌ خالد: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾.

يونس، حين تبتلع الحوت، ثم ينجو

ثم تمر السورة على يونس عليه السلام يغادر مغاضبًا، ثم تأتي اللحظة التي لا يملك فيها شيئًا: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝١٣٩ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۝١٤٠ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾.

لكن رحمة الله تلاحقه: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، ثم النجاة: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۝١٤٥ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾.

الفوائد والقيم من السورة

- التوحيد طريق النجاة.
- الابتلاء سنة للأنبياء وأتباعهم.
- النية الخالصة تُنقذ كما في قصة الذبح.
- الاستغفار والتسبيح (كما قال يونس) سبب للفرج.

سُورَةُ لُقْمَانَ

سورة لقمان سورة مكية، عدد آياتها ٣٤ آية، وتُركز على الحكمة والتوحيد والتربية الإيمانية والتوجيه الأخلاقي، وسُمِّيت «لقمان» نسبةً إلى لقمان الحكيم، الذي أورد الله في السورة وصاياه العشر لابنه، وهي من أجمل دروس التربية في القرآن.

قصة نزول السورة ومضمونها

في بيت بسيط يجلس رجل حكيم اسمه لقمان، عُرف برجاحة العقل وصدق الإيمان. لم يكن نبيًّا، لكنه بلغ من الحكمة ما جعله قدوة في التربية والتوجيه.

جلس لقمان مع ابنه جلسة ودٍّ وموعظة، فبدأ أعظم درس أبوي في القرآن الكريم، قال له بلطف وحب: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

ثم ذكَّره بأعظم الحقوق بعد حق الله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾، فأمره أن يبرَّ والديه حتى لو كانا مشركين، وألا يطيعهما في الشرك، ولكن يصحبهما بالمعروف.

ثم علَّمه مراقبة الله فقال له: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾؛ أي: لا يخفى على الله شيء، فكن صادقًا وخاشعًا في السرِّ كما في العلن.

ثم كانت الوصايا العملية

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾: حافظ على صِلَتك بربك.

﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: كن نافعًا لغيرك.

﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾: فالداعية يبتلى.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾: لا تتكبر.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾: كن متواضعًا.

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾: الأدب في السلوك والكلام.

ثم قال قولته الخالدة التي جعلت الناس يقولون هذا هو الحكيم: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾.

الفوائد والقيم من السورة

- تأكيد أن القرآن هدى ورحمة.
- أن الله خلق السماوات بغير عمد.
- أن الناس يختلفون بين شاكرٍ وجاحد.
- أن كل شيء بيد الله: علم الساعة، نزول المطر، ما في الأرحام، ما تكسب الأنفس، وأين تموت.

سُورَةُ سَبَإٍ

سورة سبأ سورة مكية، عدد آياتها ٥٤ آية، وتركِّز على إثبات البعث والحساب ونِعَم الله على أنبيائه، وقصة قوم سبأ الذين كفروا بالنِّعَم فخُسف بهم.

قصة نزول السورة ومضمونها

في أرض اليمن عاشت أمّه عظيمة تُدعى سبأ، كانت من أغنى الشعوب وأكثرها رخاء.. أنعم الله عليهم بقوةٌ وثراءٌ وزراعةٌ تُدهش العين، كأنها جنة على الأرض.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾.

ويأتيهم نداء بسيط: استمتعوا، لكن لا تنسوا المنعم: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾.

كان الطريق بينهم وبين القرى آمنًا، والرزق قريبًا، والأيام سهلة ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ لكن، حين يملّ الإنسان النعمة، يبدأ التمرّد.

طلبوا المشقّة، فجاءهم الخراب

بدل أن يشكروا، تذمروا وقالوا ما معناه: نريد المسافات أبعد! نريد المشقة! كأنهم لم يعرفوا قيمة السهولة إلا بعد ضياعها ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾.

فجاء التحول المرعب: سيلٌ ينسف ما بنوه ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ وتبدلت الجنتان، بدل الثمر والنعيم، نباتٌ مرّ وشجرٌ خشن: ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾.

ثم تُعلن السورة سبب الانهيار بكلمة واحدة ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا﴾.

داود، جبالٌ تُسبّح وحديدٌ يلين

ثم تنتقل السورة إلى قصة نعمةٍ عظيمة: داود عليه السلام، ملكٌ ونبيّ، لكن أعظم ما عنده ليس الملك، بل التسبيح ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾.

الجبال تردّد معه، والطيور تسبّح كأن الكون كله يدخل في «جوقة عبادة».

ثم تأتي نعمةٌ عجيبة: الحديد يلين في يديه كالشمع، ليصنع دروعًا لا للظلم بل للحماية: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾.

سليمان، ريحٌ وجنٌّ ومدنٌ تتحرك

ثم يفتح الله على سليمان عليه السلام بملكٍ لا يشبه الملوك ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾.

الريح تحمل أمره كأنها «مركبة ملكية» تقطع المسافات العظيمة، ثم نعمة أخرى عينٌ من النحاس المذاب ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ ثم الجن يعملون بإذن الله، يصنعون محاريب وتماثيل وجفانًا كالجواب وقدورًا راسيات: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾، ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾.

لكن في ذروة النعمة، تأتي كلمة الخوف والنجاة: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾، كأن السورة تقول: النعمة لا تُحفظ بالقوة، بل بالشكر.

لقطة الموت التي كسرت الوهم

ثم مشهدٌ سليمان يموت وهو قائم، والجن يعملون لا يعلمون أنه مات، حتى تسقط عصاه: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا

دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾.

رسالة واضحة: من يدّعي علم الغيب كاذب، والغيب لله وحده.

الفوائد والقيم من السورة

- أن الله هو العليم الخبير يعلم السر والعلن.
- أن من يشكر فإنما يشكر لنفسه، ومن يكفر فإن الله غني حميد.
- أن الساعة آتية ولو كذب بها المكذبون.
- أن الشيطان لا سلطان له على المؤمنين.

سُورَةُ الزُّمَرِ

سورة الزُّمَر سورة مكية، عدد آياتها ٧٥ آية، وتُعَدُّ من أعظم السور التي ترسّخ عقيدة التوحيد الخالص.

قصة نزول السورة ومضمونها

في مكة، حيث كان الناس يعبدون الأصنام ويشركون بالله، نزلت هذه السورة بنداء واضح: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾.

العبادة ليست بالتقليد ولا بالعادات، بل بالإخلاص لله وحده، فالله وحده من يُجيب عند الشدائد، عندما تقع في ضيق، من تدعو؟ إذا غرقت السفينة، من تنادي؟ ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ﴾ الناس في الشدة يلجؤون إلى الله، لكن في الرخاء ينسونه!

وتُبشِّر السورة أعظم البشرى لأصحاب الذنوب الثقيلة الذين عادوا إلى الله تائبين: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ

﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾. نعم، كل الذنوب، بشرط: أن تعود إلى الله بإخلاص.

وتبدأ مشاهد يوم القيامة

الناس يوم القيامة لا يأتون صفًّا واحدًا، بل زُمرًا (جماعات).

زمرة الكافرين: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾، والملائكة تسألهم بتقريع: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ﴾، ثم يُلقَى بهم في النار، فيُغلق الباب عليهم!

وزمرة المؤمنين: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾، والملائكة تقول لهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾.

الفوائد والقيم من السورة

- أخلص نيتك لله في كل عبادة.
- لا تيأس من التوبة مهما أسرفت.
- احذر من التسويف، فالموت يأتي فجأة.
- اعمل لتكون من زُمرة الجنة لا غيرها.

سُورَةُ غَافِرٍ

سورة غافر، وتُعرف أيضًا باسم سورة المؤمن، سورة مكية، عدد آياتها ٨٥ آية، وتُركِّز على عظمة الله وغفرانه وعدله، ومجادلة الكفار بالحق وبيان مصيرهم، قصة الرجل المؤمن من آل فرعون الذي جهر بالحق في وجه الظلم.

قصة نزول السورة ومضمونها

تدور السورة حول الصراع بين الحق والباطل، وتُظهر كيف أن أهل الإيمان يُثبِّتهم الله حتى وسط الظلم والجبروت، وأن النجاة لأهل الصدق والإيمان مهما طال الظلم.

تبدأ السورة بتعريف الله لنفسه بصفاته العظيمة: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِى الطَّوْلِ﴾، إنه الله الذي يفتح الباب للتائبين ويُنذر المتكبرين ويُجري الملائكة دعاءهم للمؤمنين قائلين: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾.

مؤمن آل فرعون، الصوت الذي هزَّ القصر

في قصر فرعون، حيث البطش والجبروت، ظهر رجل لم يُكشف اسمه، لكن مواقفه خُلِّدت إلى الأبد. كان من قوم فرعون لكنه أخفى إيمانه، فلما قرر فرعون قتل موسى قال هذا الرجل: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾؟

ثم بدأ يُخاطبهم بالحجة والعقل، ذكرهم بمصير الأقوام السابقة، وخوَّفهم من عذاب يوم القيامة، وذكَّرهم بأنهم يشكُّون حتى وهم يرون الحق! وفي النهاية قال لهم كلمة خالدة: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾، إنه صوت الشجاعة الصامتة الذي أنطق الله به وقت الحسم.

مصير المكذِّبين

تحذِّر السورة من مصير المتكبرين مثل فرعون وهامان، وتبيِّن أن الله يُمهل ولا يُهمل.

تختم السورة بمشهد رهيب من يوم القيامة حين يكون الظالمون في غمرات العذاب، بينما الذين آمنوا في نور من ربهم.

الفوائد والقيم من السورة

- الثبات على الحق حتى وسط الظلم هو النجاة.
- الله يرسل لك آيات ونداءات، فهل تستجيب؟
- لا تستهِن بكلمة تقولها لنُصرة الحق، فربما تكون سبب نجاتك.
- السكوت عن الحق يُطيل عمر الباطل.

سُورَةُ فُصِّلَتْ

سورة فُصِّلَت، وتُعرف أيضًا بـ«السجدة»، سورة مكية، عدد آياتها ٥٤ آية، ومحورها الأساسي هو دعوة الناس إلى التوحيد من خلال آيات الخلق والقرآن وبيان موقف المكذبين ومصيرهم في الدنيا والآخرة.

قصة نزول السورة ومضمونها

في مكة، حيث بدأ الوحي يشعُّ في أرضٍ تملأها الأصنام، نزلت سورة فصلت؛ لتعلن أن هذا القرآن ليس شعرًا ولا سحرًا، بل هو كتابٌ فُصِّلت آياته لقوم يعلمون.

تبدأ السورة بهذا الإعلان القاطع: ﴿حم ۝١ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

لكن الكفار لم يُصغوا، بل قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾، فأُغلقت قلوبهم وسدُّوا آذانهم، وكانوا إذا قرأ النبي ﷺ القرآن وضعوا أصابعهم في آذانهم وطلبوا من غيرهم التشويش.

في مقابل قلوبهم المقفلة تصف السورة مشهدًا رائعًا للمؤمنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾.

تتنزَّل عليهم الملائكة وقت الموت تطمئنهم: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾.

وتُقدِّم السورة وعدًا ثابتًا

الحق باقٍ، والباطل مهما تعالى فهو زَبَدٌ يذهب جفاءً، ومن يتبع النور يرى الطريق واضحًا، ومن يعاند فسيندم حين تُنطَق الجوارح بما كانوا يكتمون.

أفواه تُغلق، وأيدٍ تتكلم

من أشدِّ مشاهد السورة رهبة هو يوم يُحاسب الناس فتُختم أفواههم وتبدأ أيديهم في الشهادة، وأرجلهم تنطق بما كانوا يعملون، جلودهم تشهد عليهم!

فيقول الإنسان لجلده: ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾؟ فيجيب الجلد: ﴿أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾!

الفوائد والقيم من السورة

- القرآن واضح، والحق بيِّن لكن الهداية بيد الله.
- استقامة القلب واللسان تقود إلى السكينة والجنة.
- الله يعلم كل شيء، وسيجعل جسدك شاهدًا عليك.
- اللطف في الرد قد يُطفئ شرًّا كبيرًا.

سُورَةُ الشُّورَى

سورة الشورى سورة مكية، عدد آياتها ٥٣ آية، وتدور حول وحدة الرسالة الإلهية، وبيان أن الوحي من الله هو طريق الهداية، مع التأكيد على أن أمر الأمة ينبغي أن يقوم على الشورى، ومن هنا جاءت تسميتها.

قصة نزول السورة ومضمونها

في زمنٍ كثرت فيه الأصوات، وتشعَّبت فيه الآراء، ونصَّب كل فريق نفسه على أنه صاحب الحق، نزلت سورة الشورى؛ لتعلن أن الحق واحد، والمرجع واحد، وهو وحيٌ من الله العزيز الحكيم. تبدأ السورة بنداءٍ سماوي: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

كأنها تقول يا محمد ﷺ، لست وحدك في هذا الطريق، كل الأنبياء قبلك جاؤوا بهذا النور، بدين واحد، بدعوة واحدة: أن لا يُعبد إلا الله، وأن يُقام العدل بين الناس.

لكن الناس اختلفوا لا جهلًا، بل بغيًّا، ونسوا أن الله وحده هو ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ثم تأتي لحظة لامعة في السورة.

وسط كل هذه الاختلافات والفتن، تُضيء آية عظيمة ترسم ملامح المجتمع المؤمن: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾.

هؤلاء هم أتباع النور

علاقتهم بالله قوية (استجابة وصلاة)، وعلاقتهم ببعضهم قائمة على الشورى، لا على الاستبداد.

ثم نُؤخَذ إلى مشهد يوم القيامة

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا﴾: وجوه خائفة، قلوب واجفة، وندم لا يُنقذ. لكن في الجانب الآخر: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾. وفي النهاية، يُعلن النبي ﷺ بصدق: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾. لا يريد مالًا، ولا منصبًا، يريد فقط أن يُقبل الناس على الحق بمحبة وعدل.

الفوائد والقيم من السورة

- الدين واحد لكن الناس، هم الذين فرَّقوا.
- الشورى أساس القيادة الراشدة.
- الهداية ليست بيد أحد إلا الله.
- القرآن روحٌ، يُحيي القلوب الميتة.

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

سورة الزُّخْرُف سورة مكية، عدد آياتها ٨٩ آية، وتتناول عدة موضوعات أساسية أهمها: ذم التعلُّق بزخارف الدنيا، تفنيد الشرك وعقيدة المشركين في الأصنام والشفاعة، استهزاء المشركين بالحق، وسرد قصة فرعون وموسى كنموذج للطغيان ومقاومة الحق.

قصة نزول السورة ومضمونها

في مكّة، كان القرآن يُتلى، فتتحرّك القلوب الصادقة، بينما تتضايق قلوبٌ اعتادت أن تقيس الأمور بالذهب والجاه.. تأتي مقدمة السورة وتقول ﴿حم ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

اعتراضُ الكِبر، «لماذا هذا الرسول؟»

لم تكن مشكلتهم «دليلًا»، كانت مشكلة «مقاييس».

قالوا: لماذا لم يُنزَّل القرآن على رجلٍ عظيمٍ من أهل الثراء والوجاهة؟

فتأتي الإجابة: هم يقسمون «الرحمة»؟ هم يختارون من يكون رسولًا؟ ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾.

ثم تكشف السورة كيف تُدار الحياة أصلًا: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؛ أي: إذا كنتم لا تملكون قسمة الرزق، فكيف تملكون قسمة النبوّة؟

فتنة «الزخرف»، لو شاء الله لجعلها للكافرين!

ثم تُريك السورة الحقيقة التي تُسقط خداع المظاهر: لو كان معيار الله هو الذهب، لأغرق به الكافرين! ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾.

ثم الخلاصة التي تكسر سحر الدنيا ﴿وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

ثم تصف كيف يبدأ السقوط خطوةً خطوة: من يبتعد عن ذكر الرحمن، يُسلَّط عليه قرينٌ يزيّن له الطريق، حتى إذا جاء يوم الحقيقة، اكتشف أنه عاش مع «صاحب» يجرّه للهلاك.. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾.

فرعون، حين تتحول الزينة إلى سلاسل

ثم تفتح السورة ملفّ الطغيان «المُزخرف»: فرعون.

ليس لأنه يملك حُجّة، بل لأنه يملك «استعراضًا».

يخطب في قومه كأنه مالك الحقيقة: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾.

ثم يسخر من موسى لا من رسالته، بل من مظهره في نظرهم ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾.

ثم لعبة «الزينة» القديمة: لماذا لم تُلق عليه أساور ذهب؟ لماذا لم يأت معه ملائكة؟ ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾.

وتختم السورة هذا المشهد بكلمة موجعة عن الجماهير حين تنخدع بالبريق ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

الفوائد والقيم من السورة

- لا تغترَّ بزينة الدنيا، فالله يعطيها لمن يحب ومن لا يحب.
- المكانة عند الله لا تُقاس بالمال، بل بالتقوى.
- الحق قد يأتي من فقير صادق لا من ملك متكبِّر.
- من اتبع زخرف الدنيا على حساب الدين خسر الدنيا والآخرة.

سُورَةُ الدُّخَانِ

سورة الدخان سورة مكية، عدد آياتها ٥٩ آية، سورة قصيرة لكن معانيها عميقة، تجمع بين الليلة المباركة، والدخان المهلك، والقرآن المنزَّل، والطغاة المعذَّبين.

قصة نزول السورة ومضمونها

سورة الدخان التي تبدأ بمشهد مهيب: ﴿حم ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ إنها ليلة القدر، الليلة التي ينزل فيها كل أمر حكيم، حيث تُقدَّر الأرزاق وتُكتب الآجال، وينزل القرآن الكريم رحمةً وهدايةً للعالمين.

في زمن من أزمان مكة، عندما أصرَّ المشركون على الكفر دعا النبي ﷺ عليهم، فأصابهم قحطٌ شديد وجوعٌ قاتل، حتى أن أحدهم كان يرى السماء كأنها مغطاة بدخان من شدة الجوع؛ ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

فجاؤوا يطلبون الرحمة ويقولون: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾، لكنهم لما رُفع عنهم البلاء عادوا إلى كفرهم فقال الله: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾.

ثم تَسُوق السورة قصة فرعون

كيف جاءه موسى عليه السلام بالبينات لكنه استكبر وتكبَّر، فأهلكه الله وأغرقه في البحر مع جنوده، ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾، كأن الكون لم يأسف على زوالهم؛ لأنهم ظلموا وكفروا وتكبَّروا.

ونهاية عظيمة للمؤمنين

في المقابل تقول السورة عن أهل الإيمان: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٢﴾... ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝٥٦﴾.

حياة خالدة، وسلام ونعيم دائم جزاءً بما كانوا يعملون.

الفوائد والقيم من السورة

- من يُعرض عن القرآن فالعذاب ينتظره.
- التاريخ يعيد نفسه: كل من طغى هلك.
- القرآن نزل لهداية الناس لا للتكذيب والاستهزاء.
- نجاة المؤمنين ثابتة مهما أحاط بهم الطغيان.

سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

سورة الجاثية سورة مكية، عدد آياتها ٣٧ آية، وتركِّز على: دلائل التوحيد في الكون، وعناد المشركين واستكبارهم عن الإيمان، ومشهد عظيم يوم القيامة حيث تُرى الأمم جاثية على ركبها تنتظر الحساب، ولهذا سُمِّيت «الجاثية».

قصة نزول السورة ومضمونها

في ذلك الزمان، حين كان الكفر يعمُّ، والهوى يُعبد بدلًا من الله، عاش قومٌ جعلوا من عقولهم أربابًا، ومن أهوائهم آلهة، يُحِلُّون ما يشتهون، ويحرّمون ما لا يروق لهم، تبدأ السورة بهيبة الوحي، كأنها تقول قبل أن تتكلم، اسمع من أين جاء هذا الكلام.

﴿حم ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

رجلٌ يسمع الآيات، ثم يبتسم بسخرية

إنسان يُتلى عليه القرآن، لا يجهله، لا يخفى عليه، لكنه يعاند ببرود، كأن قلبه حجر ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾.

ثم تأتي «اللافتة» التي تُعلق على صدر كل مكابر: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾.

إنه يسمع، لكنه يتصرف كأنه لم يسمع.

بل إذا عرف شيئًا من القرآن، جعله مادة ضحك: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾.

ثم يأتي الحكم النهائي ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

يوم «الجاثية»، الأمم على الركب

ثم تأتي لقطة القيامة الكبرى، لقطة ترتعد لها الروح: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾.

تخيّل أممٌ كاملة على ركبها، لا كبرياء، لا ضحك، لا عناد، الكل ينتظر دوره، والملفات تُفتح: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ثم يُقال لهم: هذا كتابٌ لا يظلم: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

كل كلمة، كل نظرة، كل ظلمٍ ظننته يضيع، حاضر.

فريقان، نعيمٌ أو سقوطٌ

ثم تُفتح النهاية على بابين: باب المؤمنين: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾، وباب المكذبين: يأتيهم العتاب الذي يشقّ القلب، لأنهم يعرفون أنه حق ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾.

ثم كلمة الإغلاق ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾.

لا خروج، ولا عودة للاعتذار.

الفوائد والقيم من السورة

- آيات الله في الكون كثيرة لا يعمى عنها إلا من اتبع هواه.
- من أعرض عن الوحي أضله الله بعدله.
- القرآن هو المعيار، ومن خالفه هلك.
- النصر في الآخرة للذين آمنوا واستقاموا.

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

سورة الأحقاف سورة مكية، عدد آياتها ٣٥ آية، ومحورها يدور حول: دعوة الناس للتوحيد، وتذكيرهم بعواقب الأمم السابقة التي كذبت الرسل، وتقديم نموذجين متضادين: قوم عاد الذين هلكوا وفتى مؤمن بارٌّ بوالديه.

قصة نزول السورة ومضمونها

كانت مكّة تمتلئ بالحديث عن القرآن، كلماتٌ تهزّ القلب وتُسقط الأصنام من داخل النفس قبل أن تُسقطها من حول الكعبة، لكنّ المكابر لا يحب أن يُسأل: لماذا تعبد؟

هو يحب أن يسأل: من أين جاء هذا الكلام؟ لعلّه يجد مخرجًا.

فتأتي السورة من أولها وتضع الحقيقة على الطاولة بلا التفاف ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

حين تحوّلت السحابة إلى ريحٍ تبتلع الكبرياء

ثم تسحبك السورة من جدال مكّة، إلى صحراءٍ بعيدةٍ ذات رمالٍ ملتوية وكثبانٍ ضخمة: الأحقاف.

هناك عاش قومٌ مشهورون بالقوة: عاد؛ قوة أجسام، وبطش، واعتداد بالنفس، حتى صار الكِبر عندهم دينًا غير مكتوب وتقول السورة تذكّروا «أخا عاد» نبيّهم هود عليه السلام حين وقف في تلك الأرض يناديهم ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾.

واقفًا بينهم صوته لا يحمل شتيمة ولا انتقامًا، يحمل إنذارًا من محبةٍ ورحمة ارجعوا إلى الله، لا تُكابروا، لا تجعلوا القوة صنمًا.

لكنهم ردّوا بردّ قديم يعرفه التاريخ جيدًا: «أتريد أن تصرفنا عن آلهتنا؟! إذًا هات ما تعدنا به!»، ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

وتمرّ الأيام، حتى جاءت اللقطة المخادعة: في الأفق سحابةٌ تتحرّك!.. الناس عادةً إذا رأوا السحاب فرحوا: مطر، خصب، حياة. فقال قوم عاد بفرحٍ مُستعجل: «أترى؟ نحن بخير، ستعود الأرض خضراء!». لكن الحقيقة كانت كالصاعقة، ليست ماءً، بل ريح ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ريحٌ لا تكتفي بالترهيب، بل تقتلع من الجذور ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾.

دعاءٌ من قلبٍ نضج، ووفاءٌ للوالدين

يُريك القرآن شابًّا كبر حتى بلغ أشدّه، ثم نضج أكثر حتى بلغ الأربعين، في تلك اللحظة لا يتكلم عن مالٍ ولا منصب، بل يتذكّر «المنحة الأولى»، نعمة الإيمان، ونعمة الوالدين، ونعمة أن يكون له نسلٌ صالح، فتخرج منه دعوةٌ صادقة كأنها خلاصة عمر: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾.

ثم لا يكتفي بالشكر، بل يطلب أن يتحول الشكر إلى عملٍ يرضي الله ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾.

ثم يرفع عينَه إلى المستقبل لا يريد صلاحًا لنفسه فقط، بل يريد امتدادًا طيبًا ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾.

الفوائد والقيم من السورة

- لا تغتر بالقوة أو المال، فقوم عاد كانوا أشد منك قوة.
- الإيمان لا يحتاج إلى مال بل قلب منيب وسمع واعٍ.
- بر الوالدين سبب للفلاح في الدنيا والآخرة.

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

سورة الذاريات سورة مكية، عدد آياتها ٦٠ آية، وتتميَّز بأسلوبها القوي الذي يجمع بين التحذير والتبشير والقصص والعِبر وأدلة التوحيد وأهوال يوم القيامة.

قصة نزول السورة ومضمونها

تبدأ سورة الذاريات بمشهدٍ كونيٍّ عظيم: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾.

أقسم الله بالرياح التي تذر الغبار وتحمِل المطر وتسير في السماء وتنفِّذ أمر الله في خلقه... لتدل على أن هذا الكون مُسيَّر بأمر ربٍّ حكيم.

ثم تُذكِّرنا السورة بأعظم حقيقة في الوجود: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

فالناس لم يُخلقوا للهو، ولا لجمع المال، بل لعبادة الله، والله لا يريد منهم رزقًا ولا طعامًا، بل هو الرزَّاق ذو القوة المتين.

ضيوف إبراهيم عليه السلام

جاء ضيوفٌ غرباء إلى نبي الله إبراهيم فاستقبلهم بكل كرم، وذهب مسرعًا فجاء بعجلٍ سمينٍ مشوي، لكنه لاحظ أنهم لا يأكلون فخاف! قالوا له: لا تخف، نحن ملائكة، جئنا نبشِّرُك بغلام عليم. ثم قالوا: وجئنا لنهلك قومًا مجرمين.

وكانوا قوم لوط الذين أصرُّوا على الفاحشة، فحلَّ بهم عذاب مدمِّر، ونجَّى الله لوطًا وأهله، إلا امرأته كانت من الغابرين.

هلاك المكذبين من الأمم السابقة

ثم تستعرض السورة نماذج من الأمم المكذِّبة: قوم عاد: أهلكهم الله بريح صرصر عاتية، وقوم ثمود: دمَّرهم بصيحة واحدة، وقوم فرعون: أغرقهم بما صنعوا.

الفوائد والقيم من السورة

- استضافة الضيف من سنة الأنبياء.
- لا تغتر بالمهلة فالعذاب يأتي فجأة.
- الليل وقت الاستغفار للمؤمنين الصادقين.
- من يتأمل في الكون يهتدي إلى الله.

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

سورة الغاشية سورة مكية، عدد آياتها ٢٦ آية، واسمها مأخوذ من قول الله تعالى في أولها: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾. والغاشية: اسم من أسماء يوم القيامة، وسُمِّيَ بذلك لأنه يغشى الناس بأهواله وشدته.

قصة نزول السورة ومضمونها

في يومٍ موعود، يعمُّ الكونَ صمتٌ عجيب، لا صوت يُسمع، لا ضحك، لا حكايات، فقط رهبة.

فجأة، تُغشِي الناسَ غاشيةٌ، شيء يلفُّهم بغتة، يغمرهم، فلا يتركون وراءهم شيئًا من دنياهم، إنه يوم القيامة، اليوم الذي لا يشبهه يوم، يومٌ يغشى القلوب بالخوف، وتغشى العيونَ بالذهول.

الوجوه تتحدث

السورة تبدأ بصورة حيَّة، وجوهٌ تعبِّر عن كل شيء: وجوهٌ خاشعة، منحنية، لا ترى إلا التراب، تعِبت في الدنيا، لكنها تعبت في غير طائل، ركضت خلف السراب، وظنت أنها على شيء، فإذا بها في نارٍ حامية،

يُسقَون من عينٍ لا تطفئ ظمأً. طعامهم ضَرِيع، نبات سامٌّ لا يُسمِن ولا يغني من جوع، هؤلاء خسروا كل شيء؛ لأنهم خسروا الهدف.

ثم تنتقل السورة سريعًا، لترينا الجانب الآخر

وجوهٌ ناعمة، مشرقة، مريحة، لا همَّ فيها، ضحكةٌ في الملامح، وطمأنينةٌ في القلب.

أين هؤلاء؟ في جنة عالية، لا يُسمع فيها لغو، فقط راحة، عيونٌ جارية، وسررٌ مرفوعة، وأكوابٌ موضوعة، ونمارق مصفوفة، وزرابيّ مبثوثة، جنة فيها كل ما يُبهج، بعد أن صبروا وثبتوا.

وقفة مع الكون

ثم يأخذنا الله في جولة من التأمل: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾؟ ذلك المخلوق العجيب، الصبور، القوي؛ دليل على عظمة الخالق.

﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾؟ بلا أعمدة، بلا سلاسل. فقط قدرة إلهية تُبقيها معلَّقة.

﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾؟ ثابتة، راسخة، كأنها وتد في الأرض.

﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾؟ مفرُوشة للحياة، ممهدة للبشر.

كل هذا، تذكير بأن من خلق هذه العجائب، قادر على أن يُعيد الناس للحساب.

يا محمد! أنت مذكِّر

تخاطب السورة النبي ﷺ في ختامها: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾.

مهمتك يا محمد ليست أن تُجبر، بل أن تُذكِّر. ومن شاء، فليتَّعظ... ومن أعرض، فسيلقى الجزاء.

الفوائد والقيم من السورة

- راجع نيتك: هل عملك نافعٌ لآخرتك؟
- اعمل لتكون من الوجوه النَّاعمة لا الخاشعة الذليلة.
- تأمل في خلق الله يزيدك يقينًا.
- الدعوة بالرفق والتبليغ بالحكمة.

سُورَةُ الْكَهْفِ

سورة الكهف سورة مكية، عدد آياتها ١١٠ آيات، وهي من أعظم سور القرآن، وفيها أربع قصص قرآنية رئيسية ممتلئة بالعبر والإيمان، وتحمل رسائل عميقة.

قصة نزول السورة ومضمونها

في مدينة طغى فيها الكفر وعبد الناس الأصنام كان هناك فتيةٌ شبابٌ آمنوا بربهم، فرفضوا أن يسيروا مع القطيع، قالوا بقلوب شجاعة: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾.

فهددهم قومهم وخيَّروهم بين الرجوع أو الموت، ففرُّوا بإيمانهم إلى كهفٍ في الجبال، وقالوا: فأنامهم الله ثلاثمئة سنين وازدادوا تسعًا، وهم في الكهف محفوظون لا تفسد أجسادهم ولا تصيبهم الشمس مباشرة.

وحين استيقظوا ظنُّوا أنهم ناموا يومًا أو بعض يوم، فأرسلوا أحدهم ليشتري طعامًا، فلما دخل المدينة وجد كل شيء قد تغيَّر، الناس تغيَّرت، العملة تغيَّرت، البلدة أصبحت تؤمن بالله الواحد! فعرف الناس قصتهم، وأصبحت آية من آيات الله.

قصة صاحب الجنتين

رجلان أحدهما غني يملك بستانين جميلين، فقال بغرور: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾! فذكره صاحبه بالله لكنه تكبَّر، فخسف الله بجنتيه، فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها، نادمًا لا ينفعه الندم.

قصة موسى والخَضِر

طلب موسى عليه السلام أن يتعلم من عبد صالح (الخَضِر)، فرأى منه أفعالًا غريبة: خرق سفينة، وقتل غلامًا، وبنى جدارًا مجانًا!

فتعجَّب موسى، ثم بيَّن له الخَضِر الحكمة الخفية خلف كل فعل ليتعلم موسى أن ما يبدو شرًّا قد يكون خيرًا مخفيًّا.

قصة ذي القرنين

ملكٌ مؤمن أعطاه الله القوة والعقل، سار شرقًا وغربًا ينشر العدل حتى وصل إلى قوم يَشْكُون من فتنة يأجوج ومأجوج، فبنى لهم سدًّا من الحديد والنحاس وقال: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾؛ أي: السد سيُدمَّر قبل قيام الساعة، ويخرج يأجوج ومأجوج.

الفوائد والقيم من السورة

- الثبات على العقيدة ولو قلَّ العدد أو زاد العدو.
- المال فتنة، ومن شكر الله عليه زاده، ومن كفر زال عنه كل شيء.
- العلم عند الله واسع، وظواهر الأمور لا تُفسِّر الحقيقة دائمًا.
- القوة إذا اقترنت بالإيمان والعدل تُصلح الأرض.

سُورَةُ النَّحْلِ

سورة النحل سورة مكية، عدد آياتها ١٢٨ آية، وتُعرف أيضًا باسم سورة النِّعَم؛ لأنها تسرد وتُذكِّر بعشرات النِّعم التي أنعم الله بها على عباده وتدعوهم إلى التفكر الشكر والتوحيد.

قصة نزول السورة ومضمونها

تبدأ السورة بنداء حازم: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، لقد اقتربت النهاية، فلا وقت للتأجيل. ثم يبدأ عرض النعم:

خلق الإنسان، وسخَّر له الأنعام، منها يأكل، ومنها يلبس، ومنها يركب، خلق الخيل والبغال والحمير، لا للزينة فقط، بل لحمل الأثقال، أنزل المطر، فأنبت الأرضَ من كل زوجٍ بهيج، سخَّر الليل والنهار، الشمس والقمر، النجوم، كلها تعمل بصمتٍ من أجلك، إنه كونٌ بكامله يعمل لأجلك، وأنت؟ هل شكرت؟

النحلة.. المعجزة الصغيرة

وسط هذا السرد العجيب، يقف مشهدٌ فريد: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾.. نحلة صغيرة، لا تتكلم، ولا تفكر كما نفعل، لكنها تتلقى وحيًا من الله! تُنتج شرابًا مختلف الألوان، فيه شفاء للناس.

من كان يظن أن هذه الحشرة الضعيفة تحمل بين جناحيها معجزة إلهية؟

ختام السورة

في نهاية السورة، توجَّه الخطاب إلى رسول الله ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾؛ فالإيمان لا يُزرَع بالقوة، بل باللطف، كما أن النعمة لا تُقدَّر إلا بالبصيرة.

الفوائد والقيم من السورة

- سبحان الله... حتى الحشرة الصغيرة تُسبِّح الله وتعمل بأمره، فما بال الإنسان يعصيه وله عقل؟
- الكفر بالنِّعمة يُزيلها، والشكر يُديمها ويزيدها.

سُورَةُ نُوحٍ

سورة نوح سورة مكية، عدد آياتها ٢٨ آية، وهي سورة كاملة مخصصة لقصة نبي الله نوح عليه السلام، وهي من أوضح وأبلغ ما ورد في القرآن في عرض دعوة نبي لقومه وصبره وكفرهم، ثم وقوع العذاب بهم.

قصة نزول السورة ومضمونها

في زمن بعيد، وفي أرض غارقة في عبادة الأصنام، أرسل الله نبيًّا صبورًا اسمه نوح عليه السلام، كان أول رسول يُبعث إلى الناس بعد أن فشا الشرك بينهم، فنادى قومه ليلًا ونهارًا سرًّا وجهارًا: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝٢ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾.

قال لهم: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾.

يا قوم! لا تخافوا من التوبة، فالله لا يُعاقب من يعود، بل يُكرمه ويغفر له، لكنه كان يتكلم، وهم يضعون أصابعهم في آذانهم، يغلقون قلوبهم، ويصرُّون على العمى.

قال نوح في شكواه لربه: ﴿إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾، تخيَّل! ٩٥٠ سنة من الدعوة... كل تلك السنين، وهو يصبر ويصبر، على أمل أن يهتدي أحدهم. لكنهم لم يكتفوا بالرفض، بل جعلوا يكيدون له، ويُربُّون أبناءهم على الكفر والعناد.

وقالوا: ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾: لا تتخلَّوا عن أوثانكم، تمسَّكوا بالباطل! حتى قال نوح: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾، لقد بلغ السيل الزبى، ولم يبقَ في القلوب موضعٌ للهداية.

الفَرَج مرتبط بالسفينة

وهنا، جاء الأمر الإلهي فوق رمال الصحراء، بدأ نوح يبني سفينةً ضخمة، كانوا يسخرون منه، يضحكون، يقولون: «تبني سفينةً بلا بحر؟»، لكنه لم يلتفت، كان يصنع قارب النجاة، في بحرٍ لم يظهر بعد! وحين جاء الطوفان وغرق كل شيء؛ نجا من آمن، وهلك من كذَّب.

الفوائد والقيم من السورة

- الدعوة تحتاج إلى صبر طويل، ولا تيأس إن طال الطريق.
- الاستغفار سبب للرزق والفرج.
- الكفر قد يكون باللسان، وقد يكون بالإصرار والعناد.
- التوبة والعودة إلى الله مفتاح النجاة.

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

سورة إبراهيم سورة مكية، عدد آياتها ٥٢ آية، وتتمحور حول: الدعوة إلى التوحيد، ورفض الشرك والجحود بنِعَم الله، وبيان عاقبة الأمم المكذبة، وتختم بأعظم دعاء في القرآن: دعاء إبراهيم عليه السلام.

قصة نزول السورة ومضمونها

في عتمة الشرك، حيث كانت الأصنام تُعبَد، والقلوب قد استسلمت للهوى، انطلقت رسالة من السماء، لا تحمل سيفًا، بل نورًا، ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾؛ نورٌ يهدي الحائرين، ويفتح أعينًا غفلت طويلًا. لكن الطريق لم يكن سهلًا، فالقلوب الميتة لا تُبعث بكلمة، إلا لمن أراد الله له الحياة.

مشهد الدعوة، والرد الجاحد

النبي ﷺ يبلغ قومه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾.

الله أنعم عليهم بالحياة، والرزق، والعقل، لكنهم كفروا، ساروا خلف الطغاة، وعبدوا ما لا يسمع ولا يُبصر، فأعدَّ الله لهم جهنم؛ ساءت مصيرًا.

وتُصوِّر السورة موقفًا رهيبًا من يوم القيامة: الشيطان نفسه يتبرأ من أتباعه! يقول لهم: ما كان لي عليكم من سلطان، أنتم من اتَّبعتموني بإرادتكم.

يا له من مشهد، كل من تبع الباطل يُترك وحده، لا شفيع، ولا مخرج، ولا رجعة.

مَثَل الشجرة الطيبة

ثم تأتي واحدة من أروع صور القرآن: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ...﴾.

كلمة التوحيد، لا تُرى لكنها تعيش في القلب، كجذرٍ ثابتٍ في الأرض، وفرعٍ يعانق السماء.

والمقابل؟ كلمة خبيثة، لا أصل لها، لا نفع، لا بقاء، تُقتلع من فوق الأرض بلا قرار.

دعاء الخليل.. من القلب إلى السماء

ثم تختم السورة بمشهد حميم من سيرة إبراهيم عليه السلام، الأب والقدوة، الحبيب إلى الله.

ها هو في أرضٍ جرداء، لا زرع فيها ولا ماء، يرفع يديه إلى السماء: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾... ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾.

إنه دعاء بناء الأمة أمة تُقيم الصلاة وتُحب الله وتبني حضارتها على الإيمان لا الأصنام.

الفوائد والقيم من السورة

- الدعاء لأبنائك بالإيمان أهم من المال.
- لا تتبع الشيطان فإنه سيتخلى عنك يوم القيامة.
- الثبات على «لا إله إلا الله» مفتاح النجاة.
- العبرة ليست بالقوة أو العناد، بل بمن أطاع ربه وتواضع له.

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

سورة الأنبياء سورة مكية، عدد آياتها ١١٢ آية وهي تُركِّز بشكل رئيسي على عرض نماذج من حياة عدد من الأنبياء عليهم السلام، وتوضيح كيف واجهوا الشدائد بالصبر والثقة بالله فكانت العاقبة لهم.

قصة نزول السورة ومضمونها

اقترب الموعد، الساعة تدقُّ دقاتها الأخيرة، لكن القلوب غافلة، والعقول مشغولة بزينة الدنيا.

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾، هكذا تبدأ السورة، بإنذارٍ يهز الوجدان.

الحساب ليس بعيدًا، لكنه لا يقلق إلا من أيقن.

أرسل الله الآيات، المعجزات، والكتب، لكن كثيرًا من الناس كانوا إذا سمعوا الحق، قالوا: سحر.. أضغاث أحلام.. أساطير الأولين!

وفي هذا السواد، يضيء الله قلب نبيِّه ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.

هو النبي الخاتم، الذي جاء ليُكمل موكب النور، وليكون الرحمة التي تمسُّ كل قلب صادق.

موكب الأنبياء

ثم تبدأ السورة باستعراضٍ مهيب؛ أنبياء الله، واحدًا بعد الآخر.

إبراهيم عليه السلام

شابٌ يواجه أمة بأكملها، يحطم أصنامهم، ويقول: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾، فيلقونه في النار، والنار تلتهب، لكن يأتي أمر الله: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾. في معجزةٌ خالدة، ونجاة للصادقين.

يونس عليه السلام

خرج من قومه غاضبًا، فركب البحر، فابتلعه الحوت، لكن في ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت، نادى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، فاستجاب الله له، ونجَّاه.

أيوب عليه السلام

الجسد مريض، والمال ضائع، والأهل غائبون، ومع ذلك، لم يشكُ، بل: ﴿نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، فكشف الله ما به، وردَّ عليه نعمته.

داود وسليمان عليهما السلام

نبيين وملكين، أعطاهما الله الحكمة، وسخر لسليمان الريح والجن والطير، ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، لكنهما لم يطغيا، بل شكرا.

زكريا ويحيى ومريم

كلهم في موكب الطهارة، والإخلاص، والخشوع، زكريا دعا ربه سرًّا، فوهبه يحيى غلامًا نقيًّا، ومريم المرأة الطاهرة التي اصطفاها الله، وجعلها آية للعالمين.

لوط عليه السلام

نجَّاه الله من القوم الفاسدين، وأنزل عليهم عذابًا مدمرًا، السورة تؤكِّد أن الأنبياء كانوا بشرًا مثلنا، لا يطلبون أجرًا، ويعبدون الله وحده، والأمة التي تتبعهم تُفلح، ومن يعاندهم يهلك كما هلكت القرى الظالمة، وفي نهاية السورة يُعلن الله عن نبيه محمد ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

لِلْعَالَمِينَ﴾، من آدم إلى محمد طريق واحد؛ هو طريق التوحيد الصبر والدعوة إلى الله.

الفوائد والقيم من السورة

- كل الأنبياء دعوا إلى نفس العقيدة: التوحيد.
- طريق الحق ليس سهلًا، لكنه يؤدي إلى النصر.
- الدعاء في الشدة مفتاح للفرج.
- الله ينصر عباده الصابرين مهما تأخر النصر.

سُورَةُ الْمُؤْمِنَونَ

سورة المؤمنون سورة مكية، عدد آياتها ١١٨ آية، وهي من أعظم السور التي تبدأ مباشرة بوصف صفات أهل الإيمان وتنتهي بدعاء الأنبياء ونجاة المؤمنين.

قصة نزول السورة ومضمونها

في لحظة من السكون، حيث تتراكم الهموم على قلب النبي ﷺ، وينكر القوم دعوته ويزداد تكذيبهم، جاءه صوت السماء حاملًا سورة تبدأ بأعذب بشارة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، بدأت القصة بفرحٍ صادق وصوت يعلن الفوز الحقيقي ليس مالًا ولا نسبًا ولا سلطة.. إنه الإيمان الصادق.

صفات الفائزين

الخشوع في الصلاة، الإعراض عن اللغو، أداء الزكاة، حفظ الفروج، حفظ الأمانات، المحافظة على الصلوات. هؤلاء هم أبطال سورة

«المؤمنون» الذين انتصروا على أنفسهم في دنيا الشهوات فاستحقوا الجنة: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

ثم تأخذنا السورة في تأمُّل عظيم

كيف خُلق الإنسان من سلالة من طين، ثم نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظام، ثم نُفخت فيه الروح فأصبح بشرًا حيًّا، ثم يموت، ثم يُبعث!

مواقف الأمم السابقة مع أنبيائهم

أرسل الله نوحًا فكذَّبه قومه، ثم أرسل رُسُلًا بعده فكذَّبهم الناس، حتى موسى وهارون جاؤوا بالبينات لفرعون فاستكبر، وكل مرة كانت النهاية واحدة النجاة للمؤمنين والهلاك للمكذبين.

ردود المشركين على النبي ﷺ: قالوا: ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾، ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾؟

فردَّت السورة بوضوح أن من لا يؤمن بالبعث هو من أفلس روحيًّا، وأن الساعة آتية لا ريب فيها.

حال من ضيَّع الإيمان

ثم يأتي مشهد النهاية، حيث يندم من لم يؤمن: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾، لكن هيهات، لقد انتهى الوقت وانقطع الرجاء! ثم يقال لهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾، ويا له من مشهد يهزُّ القلب. سكوت أبدي بعد نداءات متكررة في الدنيا رُفِضت.

الفوائد والقيم من السورة

- الفلاح الحقيقي ليس بالدنيا، بل بالإيمان.
- الله كرَّر التاريخ: كل أمة كذَّبت نبيها فهلكت.
- الخشوع والأمانة والعفة والزكاة والوفاء بالعهد طريق الجنة.
- يوم القيامة لا ينفع الندم، والميزان لا يُخطئ.

سُورَةُ السَّجْدَةِ

سورة السجدة سورة مكية، عدد آياتها ٣٠ آية، وتُعد من السور التي تهز القلوب وتوقظ الغافلين، إذ تجمع بين دلائل الخلق والبعث، وعرض حال المؤمنين والمجرمين، وذكر قيام الساعة.

قصة نزول السورة ومضمونها

في ليلةٍ من ليالي مكة، كان النبي ﷺ يتلو القرآن، والآيات تنزل كالنور، لكن بعض القلوب لم تتحمل نورها، فبدل أن تخضع قالت باتهام بارد: «افترى هذا الكلام!»، فجاء الردّ في أول السورة كأنه بابٌ يُغلق على الشك: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾، كأن السماء تقول هذا ليس كلام بشر، هذا نداء رب العالمين.

ثم فجأة، تنتقل اللقطة من البشر إلى الكون، كأن السورة تقول: إن لم تصدقوا بالكلام فانظروا إلى الصنعة! السماء مرفوعة بلا أعمدة، الأرض ممهدة، الليل والنهار يتحركان بدقة، وكل شيء يدبّر: ﴿اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ

مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾.

هناك يدٌ تدير هذا العالم... ليست يد بشر.

أنت، كنت لا شيء

تخيّل نفسك قبل أن تُولد، لم تكن شيئًا يُذكر. ثم بدأ الخلق من طين، ثم من قطرة، ثم تسوية دقيقة، ثم نفخة روح، ثم سمع وبصر وقلب!

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾.

ثم تأتي كلمة تُخجل الإنسان: ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ۝٩﴾، كأنها تقول: بعد كل هذا العطاء... كيف يكون الجحود؟

سؤال المستهزئين، والجواب الذي يقطع الطريق

كان المكذبون يضحكون: «إذا صرنا ترابًا... هل سنعود من جديد؟». ﴿أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

فيأتي الردّ كأنه حقيقة تُقال بلا نقاش: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

الموت ليس صدفة، له «موعد» و«مَلَك»، ثم رجوع لا مهرب منه.

لقطة القيامة، حيث ينكسر الكبرياء

الستار يرتفع...والناس واقفون بين يدي الله.

المجرمون مطأطئو الرؤوس... لا صراخ ولا جدال... فقط انكسار: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

يقولون بلهفة تذيب القلب: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾.

لكنهم يكتشفون الحقيقة المرّة: الرجوع انتهى... لأن الاختيار كان في الدنيا.

بابان، لا ثالث لهما

ثم ترفع السورة ميزانها.. هل يستوي مؤمن وفاسق؟ ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾.

جنةٌ للمؤمنين: ﴿جَنَّاتُ الْمَأْوَى﴾، ونارٌ لمن تمرد: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾.

لماذا سُمّيت «السجدة»؟

هنا تصل القصة لأجمل لقطة... لقطة أهل الإيمان الحقيقيين.

حين تُتلى عليهم الآيات... لا يجادلون، لا يسخرون... كأن قلوبهم تعرف الطريق تلقائيًا... فيسقطون سجودًا: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾.

ثم تأتي اللقطة التي تشبه الهمس في الليل: الناس نيام... لكن هؤلاء تنهض أرواحهم. ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

قومٌ تركوا الفراش... لأن قلوبهم لا تستطيع أن تترك الله.

وفي النهاية... مكافأة لا تُوصف: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

الفوائد والقيم من السورة

- السجود لله في الدنيا علامة الإيمان ويوم القيامة لن يُؤذن إلا للساجدين بحق.
- لا يؤخر التوبة حتى الندم وقت الموت.
- قيام الليل من صفات أولياء الله.
- نعيم الآخرة لا يعلمه إلا الله، فاعمل له.

سُورَةُ الطُّورِ

سورة الطور سورة مكية، عدد آياتها ٤٩ آية وسُمِّيت بهذا الاسم نسبة إلى جبل الطور الذي كلَّم الله عليه موسى عليه السلام.

قصة نزول السورة ومضمونها

في ليلٍ ساكن والنجوم تتلألأ في السماء نزل الوحي على قلب النبي محمد ﷺ يحمل معه سورة تهز الأرواح وتوقظ القلوب: سورة الطور.

كان النبي ﷺ يواجه عناد قريش واستهزاءهم وهم يسخرون من دعوته ويكذِّبون بالبعث ويتحدّونه بأن يأتي بالعذاب إن كان صادقًا.

فجاء الجواب من الله لا عبر التهديد فقط، بل عبر لوحة عظيمة من القَسَم والوعد والوعيد.

البدء بالقَسَم المهيب

﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾: هل تعرف ما هو «الطُّور»؟ إنه الجبل الذي ناجى عنده موسى ربَّه.

جبل شهد أعظم تجلٍّ إلهي، وها هو الآن يُستدعى ليكون شاهدًا على صدق محمد ﷺ!

ثم تتوالى الأقسام لتوقظ كل نائم وتذكِّر كل متكبِّر بأن هذا الكلام ليس شعرًا ولا أسطورة، بل وحي من رب العالمين.

ثم يرسم القرآن مشهدًا مهيبًا: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾، تخيل السماء كأنها تُحرَّك وتضطرب، والجبال تسير كأنها لا وزن لها! إنه مشهد القيامة، مشهد يُسكِت أي سخرية!

ثم يتجه المشهد إلى أهل النار

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾: يُجَرُّون إليها جَرًّا عنيفًا بلا كرامة ولا شفاعة، ولماذا؟ لأنهم كانوا يقولون: إن هذا سحر، إِنْ هذا إلا قول الشاعر، لكن الله يردُّ عليهم بقوة: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾.

أما المؤمنون؟ فلهم قصة أخرى تمامًا.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ تخيَّلهم على الأرائك ينظرون ويضحكون ويتذكرون كيف كانوا يُستهزأ بهم في الدنيا، فإذا هم اليوم في نعيمٍ لا ينفد. ويقول أحدهم: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾، إنها قصة من صبر فنجا، ومن تكبَّر فهلك.

الفوائد والقيم من السورة

- القيامة آتية لا محالة فلا تنشغل بالدنيا وحدها.
- التمسك بالقرآن سبيل النجاة.
- في الجنة: يُجمع شمل العائلة المؤمنة.
- الصبر والتسبيح يرفعك في الدنيا والآخرة.

سُورَةُ الْمُلْكِ

سورة الملك سورة مكية، عدد آياتها ٣٠ آية، وتُسمى أيضًا «المانعة»، أو «المنجية»، لأنها تمنع عذاب القبر عن من يُداوم على قراءتها كما ورد في الأحاديث الصحيحة.

قصة نزول السورة ومضمونها

في ليلٍ ساكن، وبين همسات النجوم، جلس رجل وحده في بيته يقرأ، عيونه تتنقَّل بين آيات سورة تُشعرك أن العالم كلَّه بين يدي ملكٍ عظيم.

إنها سورة الملك، سورة تُعلِّمك من هو الملك، ومن أنت، ولماذا خُلِقْتَ، وإلى أين المصير؟

تأمل في الكون، تعرَّف على الملك

ثم تدعونا السورة للتأمل في أعظم لوحة في الكون: ﴿الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِى خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾.

ارفع رأسك، هل ترى خللًا؟ صدعًا؟ عيبًا؟ أبدًا! ستُرهق عينيك من التأمل لكنك لن تجد نقصًا واحدًا، هذا هو إبداع الملك!

منكرون في قعر الجحيم

ثم ننتقل لمشهد آخر لأناسٍ رفضوا السماع والتفكر والإيمان: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾؟ فقالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾. إنها كلمات ندم، لكن بعد فوات الأوان!

من يخاف الله في الغيب

في المقابل هناك من خاف الله في قلبه وهو لا يراه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ هؤلاء لهم مغفرة وأجر كبير؛ لأنهم صدقوا وسجدوا وراقبوا ربهم في السر والعلن.

ثم تأتي لحظة صامتة لكنها مرعبة

لحظة في القبر وحدك بلا مال ولا أهل، فمن سينفعك؟ ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، وهنا تهمس السورة للمؤمن: اقرأني، احفظني، فأنا مانعة منجية شفيعة.

وقد قال النبي ﷺ: «سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غُفر له وهي: تبارك الذي بيده الملك». (رواه الترمذي).

الفوائد والقيم من السورة

- اقرأ سورة الملك كل ليلة فهي مانعة من عذاب القبر.
- تفكر في خلق السماء ترى قدرة الله وتزداد إيمانًا.
- الخوف من الله في الخلوات دليل صدق الإيمان.

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

سورة الحاقة سورة مكية، عدد آياتها ٥٢ آية، وتتميز بأسلوبها القوي المزلزل الذي يصف أهوال يوم القيامة ومصير الأمم المكذِّبة والفرق بين من يُؤتى كتابه بيمينه ومن يُؤتى كتابه بشماله.

قصة نزول السورة ومضمونها

في عالم يسوده النسيان ويغفل فيه كثير من الناس عن النهاية، نزلت سورة كأنها صافرة إنذار توقظ الغافلين وتُرعب المتكبرين وتُبشِّر من كان قلبه حيًّا، إنها سورة الحاقة.

اسمها وحده يُرعب: ﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾.

كأن صوتًا من السماء ينادي: الواقعةُ التي لا شك فيها قادمة، فهل أنتم مستعدون؟

أقوام كذبوا، فهلكوا: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾.

أممٌ عتت وتجبَّرت: ثمود قالوا من أشد منا قوة؟ عاد بنوا القصور وملؤوا الأرض فخرًا.

فما الذي حدث؟ أُرسل على قوم ثمود: صيحة واحدة فجعلتهم كالعصف المأكول. وأُرسل على قوم عاد: ريح صرصر عاتية، سبعة ليالٍ وثمانية أيام، فصاروا كجذوع النخل الخاوية.

﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾: لا أحد، زالوا كأنهم لم يكونوا.

ثم يأتي المشهد المهيب، يوم يؤتى كل إنسان صحيفته

أما من أُعطي كتابه بيمينه فيفرح ويقول: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾. فهو في عيشة راضية، في جنة عالية، قطوفها دانية.

وأما من أُعطي كتابه بشماله فيقول: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦﴾. فيُقال له: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١﴾، إنه قولٌ فصل لا هزل؛ ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝٣٩ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾.

وتنتهي السورة بتأكيد أن القرآن حق وأنه تذكرة للمتقين ومن أعرض عنه فهو الهالك.

الفوائد والقيم من السورة

- من علامات الإيمان: أن تسعى لأن تُؤتى كتابك بيمينك.
- لا تغترَّ بقوة قوم أو حضارة، فقد أهلك الله من هو أشد.

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

سورة المعارج سورة مكية، عدد آياتها ٤٤ آية، وتتناول بأسلوب قوي ومؤثر مشهد يوم القيامة، وصفات الإنسان المتقلب، وصفات المؤمنين الثابتين، ووصف الطريق إلى النجاة.

قصة نزول السورة ومضمونها

في لحظة استهزاء وسخرية جاء رجل من قريش إلى النبي ﷺ وقال باستهزاء: «يا محمد إن كان ما تقول حقًا، فأنزل علينا العذاب! أرِنا القيامة التي تخوّفنا بها!».

وبينما ضحك القوم، إذ بالسماء تردُّ، فنزلت سورة المعارج تحمل تهديدًا رهيبًا ومشهدًا من المستقبل لا يُنسى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾، إنه ليس طلبًا للدعاء، بل هو تحدٍّ وقح لله!

العذاب قادم لا شك فيه، لا مفرَّ منه، ولا أحد يستطيع دفعه حين يأتي.

مشهد القيامة الهرب والهلع

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾: السماء تذوب كالحديد المصهور، والجبال تتطاير كالصوف المنفوش، والناس ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾، الكل في فزع، لا أحد يسأل عن أحد، بل يتمنَّى الإنسان لو يفتدي نفسه بأعز الناس لديه: ﴿يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۝١٣﴾، لكن كلا! لا يُقبل منه شيء.

الإنسان جزوع هلوع، القرآن يكشف النفس البشرية: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾.

الناس بطبعهم يخافون المصائب، ويتعلَّقون بالراحة. لكن هناك استثناء عظيم: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢﴾.

ثم تُذكر صفاتهم

المداومة على الصلاة والزكاة والحق في الأموال، والإيمان باليوم الآخر، والخوف من عذاب الله، وحفظ الأمانات والعهود، والصدق في الشهادة، والتمسك بالصلاة في كل الظروف.

هؤلاء هم الناجون، من حبسوا أنفسهم على طاعة الله فاستحقوا الفردوس في يوم الهلع العظيم.

الفوائد والقيم من السورة

- لا تتكبر على دعوة الله، فإن العذاب واقع لا محالة.
- الإيمان الحقيقي يظهر في الشدائد لا عند النعم فقط.
- الصلاة والمحافظة عليها رأس صفات الناجين.
- يوم القيامة لا ينفع ولد ولا مال، بل العمل الصالح فقط.

سُورَةُ النَّبَإِ

سورة النبأ، ويُقال لها أيضًا: «عمَّ يتساءلون»، سورة مكية، عدد آياتها ٤٠ آية، وتتميّز بأسلوبها القوي القصير الذي يهزُّ القلوب ويوقظ الغافلين، وهي من أوائل السور التي نزلت لتثبيت العقيدة والرد على المنكرين للبعث.

قصة نزول السورة ومضمونها

في مكة، وفي زمنٍ كان الناس فيه منشغلين بالدنيا يتجادلون ويتفلسفون ويتساءلون بسخرية: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾. إنهم يتحدثون عن أمر ضخم رهيب مصيري، إنه القيامة!

لكنهم لم يصدقوا، بل اختلفوا فيه وسَخِر بعضهم وقالوا: أإذا متنا وكنا ترابًا أئنا لمبعوثون؟ هذا شيءٌ بعيد. وهنا جاء الجواب من السماء لا بالجدال، بل باليقين.

تأمل قبل أن تسأل

الله يذكِّرهم بعالمٍ يرونه يوميًّا: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾؟ انظر حولك: الأرض فراش، والجبال أوتاد، نومك راحة، والليل لباس، والنهار معاش، والماء والزرع والغيوم كل شيءٍ منظمٌ بدقة، فهل تظنون أنكم تُتركون هملًا؟

يوم يُنفخ في الصور

ثم تنقلب الصورة، الهدوء يُستبدل بالصوت العظيم: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾. إنه اليوم الذي يُفصل فيه بين الحق والباطل بين المؤمن والمجرم.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾: كل إنسان سيُبعث، لا أحد يُترك.

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۝١٩ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾؛ أي: السماء تتشقق والجبال تتلاشى، والإنسان واقفٌ مذهولٌ ينتظر مصيره.

مصير من طغى وتكبَّر

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾: جهنم ليست أسطورة، بل هي مرصاد! ترصد خطوات الطغاة حتى تُطبِق عليهم، لا طعام إلا الغِسْلين، ولا شراب إلا الماء المغلي، ولا خروج ولا راحة.

﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾: ليس ظلمًا بل عدل كامل، جزاء مطابق لأفعالهم.

الفائزون الحقيقيون

لكنَّ هناك وجوهًا مشرقة، قلوبًا آمنت، أعينًا دمعت، وألسنة ذكرت.. ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ ما ينتظرهم؟ جنات، أعناب، نساء طاهرات، أكواب مملوءة، لا يسمعون فيها لغوًا ولا كذابًا، بل سلام وطمأنينة أبدية.

اليوم الذي لا يتكلم فيه أحد إلا بإذن الله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾، الكل صامت، حتى الملائكة! لا يُؤذن بالكلام إلا لمن رضي الله عنه.

وفي النهاية يُقال: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾، إنه ليس خيالًا ولا حلمًا، إنه الحقيقة المطلقة.

الفوائد والقيم من السورة

- يوم القيامة حقيقة لا جدال فيها.
- من ينكر الحساب فمصيره الخزي الأبدي.
- الجنة والنار مصيران حقيقيان لا رمزيان.
- القرآن يُحذِّرنا لنستعد لا ليخيفنا عبثًا.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

سورة النازعات سورة مكية، عدد آياتها ٤٦ آية، وتدور حول: عظمة يوم القيامة، أهواله وتقلب حال الناس فيه، وتذكير بمصير الأمم السابقة التي كذَّبت، وخاصة قصة فرعون وموسى عليه السلام، ثم تنتهي السورة بتأكيد أن الساعة قادمة لا محالة، وأن الناس يومها كأنهم لم يعيشوا إلا لحظة.

قصة نزول السورة ومضمونها

تبدأ السورة بمشهد من عالم الغيب، ملائكةٌ تتحرك بأمر الله، لا تتأخر ولا تتردد: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١﴾.

أرواح تُنتزع نزعًا شديدًا، ثم أرواح تُقبض بسهولة ورحمة: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢﴾، ثم تتحرك الملائكة بسرعة وتنفيذ: ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝٤ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝٥﴾.

كأن الرسالة: الكون ليس فوضى، كل شيء يسير بقدرٍ وأمر.

الصيحة، والقلوب ترتجف

وفجأة... ينتقل المشهد إلى يوم القيامة. لا مقدمات طويلة... لحظة واحدة تغيّر العالم: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾، ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾.

ترتجف الأرض... ثم تأتي النفخة الثانية... ويقوم الناس من قبورهم مذهولين. وجوهٌ ترتعش من الخوف: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾، ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾.

استهزاء المكذبين

لكن المكذبين في الدنيا كانوا يسخرون: ﴿أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾، ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾، يظنون البعث مستحيلًا...فيأتي الرد المفاجئ المختصر: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾، ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾، صيحة واحدة... وإذا الجميع على وجه الأرض للحساب!

موسى وفرعون، صراع الطغيان والهداية

ثم تأخذك السورة إلى قصة عظيمة لتقول: من كذّب بالآخرة... طغى في الدنيا. ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾.

موسى يُنادى في الوادي المقدس: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

ويُرسل إلى أعتى طاغية: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾.

لكن الله يأمر موسى أن يبدأ بلطف: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى﴾، ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾.

موسى يعرض الطريق، وفرعون يردّ بالكِبر

يرفع صوته ويعلن جنونه: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾.

فيأتيه الأخذ الذي صار عبرة: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾.

دليل القدرة، السماء والأرض

ثم تسأل السورة سؤالًا يهز العقل: من الذي خلق السماء ورفعها وسوّاها؟ من الذي أخرج ماء الأرض ومرعاها؟

﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾.

كأنها تقول: إذا كان الله خلق هذا الكون العظيم... فكيف يستعصي عليه بعث البشر؟

النهاية، فريقان فقط

ثم تأتي الخلاصة بوضوح:

من طغى وفضّل الدنيا ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾.

ومن خاف مقام ربه وكبح هواه ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾.

وتُختم بسؤال عن الساعة... ليعرف الإنسان أنه قد لا يملك إلا «الآن»: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾.

الفوائد والقيم من السورة

- لا تغتر بالحياة، فزجرة واحدة تُقيم القيامة.
- من خاف الله سرًّا وجهرًا فله الجنة.
- من اختار الدنيا وترك الآخرة فموعده النار.
- نهاية المتكبرين، كفرعون، عبرة لمن يعتبر.

سُورَةُ الِانْفِطَارِ

سورة الانفطار سورة مكية، عدد آياتها ١٩ آية، وتُعد من السور التي تصف أهوال يوم القيامة وصفًا بصريًّا مرعبًا لتوقظ القلوب من غفلتها وتذكِّر الناس أن هناك خالقًا رقيبًا سيحاسبهم على أعمالهم.

قصة نزول السورة ومضمونها

تخيّل الكون في سكونه المعتاد... سماءٌ ثابتة، نجومٌ لامعة، بحارٌ ممتدة، وفجأة... يحدث ما لا يخطر على قلب بشر!

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾، السماء التي كانت سقفًا محفوظًا... تنشق!

ثم تتساقط النجوم وتنطمس أنوارها: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾، وتغلي البحار وتتغير ملامح الأرض: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾، وتُقلب القبور وتُخرج ما في جوفها: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾، كل شيء يتبدّل... كأن الكون يعلن: لقد بدأ يوم الفصل.

لحظة الانكشاف الكامل

في تلك اللحظة، لا يبقى شيء مخفي: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾، كل نفس تعرف ماذا فعلت، وماذا تركت، وماذا أخفت، وماذا قالت، لا مجال للتبرير، لأن الحقيقة تصبح واضحة كالشمس.

سؤال يهزّ الغافل

ثم يأتي سؤال عجيب، كأنه يوقف الزمن لحظة: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾.

ما الذي خدعك؟ أهو المال؟ أهو الشباب؟ أهو طول الأمل؟ مع أن ربك كريم... يرزقك ويستر عليك ويؤخرك لعلّك تتوب.

ثم تذكير يقطع الغرور من جذوره: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾، أنت لم تُخلق صدفة، بل صُنعت بقدرٍ وحكمة.

السر الذي لا ينتبه له كثيرون

ثم تكشف السورة سبب الانحراف الحقيقي: ليس الجهل، بل التكذيب بالآخرة ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾، حين يضعف الإيمان بالحساب... يجرؤ الإنسان على المعصية.

الكَتَبة، لا شيء يضيع

ثم تفتح السورة الستار عن مشهد خفيّ يرافقك كل يوم: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾.

ملائكة تكتب، بدقة، بلا نسيان، كلمةٌ قلتها على عجل، نظرةٌ ظننتها تمرّ، ظلمٌ حسبته يضيع، كله محفوظ.

نهاية الطريق، فريقان فقط

ثم يأتي الفصل النهائي: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝١٤﴾ لا ثالث، إما نعيم وإما جحيم، ثم تُغلق السورة بمشهد يهز القلب: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۝١٩﴾، في ذلك اليوم، لن ينفعك قريب، ولا صديق، ولا مال، القرار كله لله.

الفوائد والقيم من السورة

- يوم القيامة حقيقي ومهيب، فلا يغرك طول الأمل.
- راقب الله في السر والعلن، فهناك ملائكة لا يغفلون.
- البرُّ والإحسان والطاعة طريق الجنة، والفجور طريق الجحيم.
- ما غرَّك بربك الكريم؟ سؤال يكفي لتبكي وتراجع نفسك.

سُورَةُ الِانْشِقَاقِ

سورة الانشقاق سورة مكية، عدد آياتها ٢٥ آية، وتدور حول مشهد يوم القيامة، بدءًا من انشقاق السماء، ومرورًا بمراحل الحساب، وانتهاءً بمصير الإنسان: إمَّا نعيم وإما جحيم.

قصة نزول السورة ومضمونها

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾: تخيل السماء التي تراها كل يوم جميلة ومتماسكة، تنشق وتسمع أمر ربها فتطيع مباشرة، فإذا كانت السماء تطيع فماذا عنك أنت؟ الأرض تتكلم!

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾: الأرض تُمَدُّ وتُبسط، ثم تُخرِج كل من فيها: الأموات والأسرار والأعمال، كل شيء يظهر!

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾: حتى الأرض تطيع وتستسلم لله.

رحلة الإنسان الطويلة

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾: كلنا نسير، نتعب، نكدح، نعيش، ونعمل، ونسهر، ونجري، لكن إلى أين؟ إلى الله؛ حيث الحساب والمصير. فماذا أعددت لذلك اللقاء؟

الكُتب تفتح والناس ينقسمون

من يُعطى كتابه بيمينه

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾: يبتسم، يفرح، يرى حسناته، ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾، لكن من هؤلاء؟ إنهم من تعبوا لله، وخافوا الله فأراحهم الله.

ومن أُعطي كتابه وراء ظهره

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾: يأخذه بيده الشمال من وراء ظهره في إهانة عظيمة!

﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾ لن ينفعه الندم ولا الصراخ؛ لأنه كان في الدنيا: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾، كان يضحك، يستهزئ، يظن أنه لن يرجع إلى الله، لكنه كان غافلًا، وظنُّه كاذب، أقسم الله فهل تصدق؟ ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۝١٦ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَالْقَمَرِ إِذَا

﴿اتَّسَقَ﴾ الله يُقسم بمظاهر الكون: الشفق، الليل، القمر، كلها تشهد أن القيامة آتية لا محالة.

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾: ستنتقلون من حال إلى حال، من الدنيا إلى الموت، إلى البعث، إلى الحساب.

فماذا بعد؟ ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۝٢١﴾؟! سؤال رهيب. لماذا لا تخشع القلوب؟ لماذا لا تسجد الأرواح؟ لماذا نؤجِّل العودة لله؟

لكن القرآن يُنهي السورة بوعد: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فهولاء ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٢٥﴾، لا يُقطع، لا ينفد، لا يُحرَمون منه أبدًا.

الفوائد والقيم من السورة

- كل حياتك رحلة، وسينتهي بك المطاف واقفًا أمام الله.
- لا تغتر بالفرح والراحة، فالرجوع إلى الله قادم لا محالة.
- من يسرَّ في الدنيا بالإعراض عن الله قد يندم في الآخرة ندمًا لا ينفع.
- السجود لله في الدنيا من علامات النجاة يوم القيامة.

سُورَةُ الرُّومِ

سورة الروم سورة مكية، عدد آياتها ٦٠ آية، وسُمِّيت بهذا الاسم لافتتاحها بذكر هزيمة الروم ثم انتصارهم لاحقًا، وكانت آية كبرى للمؤمنين حين نزلت.

قصة نزول السورة ومضمونها

في زمنٍ كان فيه المسلمون قِلَّة يُعانون من الضعف والحصار في مكة.. وقعت واقعة هزَّت العالم!

الروم (المسيحيون أهل الكتاب) انهزموا أمام الفُرس (عُبَّاد النار) في معركة كبرى، وكان المشركون في مكة يفرحون بهذه الهزيمة ويقولون للمسلمين بسخرية: «انظروا! كما انهزم الروم أصحاب الكتاب ستُهزمون أنتم أيضًا!». كأنهم يقولون: «أنتم والروم على دين واحد، ونحن والفرس بلا كتاب وقد غَلَبنا!».

وفي وسط الحزن، نزلت الآيات تُعلن نبوءة عجيبة: ﴿الم ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾.

نبوءة واضحة: الروم الآن مهزومون، لكن في بضع سنين (٣ إلى ٩ سنوات) سينتصرون!

وحدث ما وعد الله به بالضبط، فبعد سبع سنوات انتصرت الروم على الفرس، ففرح المؤمنون، وكان ذلك علامة أن من وعد بالنصر للأمم... سيُنصر دينه أيضًا.

أين ذهب الذين من قبلكم؟ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، ساروا على الأرض، بنوا حضارات، لكنهم كذَّبوا الرسل، فأخذهم الله بالزلازل والرياح والغرق، تاريخ يتكرَّر، لكن العاقل من اتّعظ بغيره قبل أن يكون هو العبرة.

يوم القيامة آتٍ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

دعوة إلى الصبر والثبات

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾.

السورة تُختَم بنداء للنبي ﷺ ولأمته: اثبتوا واصبروا، ولا تغتروا بتقلُّب الدنيا، فالغلبة في النهاية للحق.

الفوائد والقيم من السورة

- التاريخ ليس للتسلية، بل عبرة لمن أراد أن يعتبر.
- دع حياتك متصلة بالله في الرخاء كما في الشدة.
- انتبه لعلامات قدرة الله من حولك، فهي تذكير دائم.
- الوعد الإلهي صادق، سواء في النصر أو في الحساب.

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

سورة العنكبوت سورة مكية، عدد آياتها ٦٩ آية، وتُعَدُّ من السور التي ركَّزت على الابتلاء والفتن في طريق الإيمان وضربت أمثلة لثبات المؤمنين، وكشفت ضعف الكافرين وضربت لهم مثلًا ببيت العنكبوت.

قصة نزول السورة ومضمونها

في مكة، وفي زمنٍ اشتد فيه أذى الكفار للمؤمنين وكان المسلمون يعانون الفقر والضعف والتعذيب، نزلت سورة تفتح العيون وتكشف الحقائق، إنها سورة العنكبوت.

هل تظن أن الإيمان مجرد كلمة؟ ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾، كأن الله يسأل كل مؤمن هل تظن أن مجرد قولك: «آمنت» يكفي؟

لا بد من ابتلاء، ومن اختبار، ومن فتنة، حتى يُعرف الصادق من الكاذب، كما اختُبر نوح وإبراهيم ولوط وغيرهم.

تنتقل السورة إلى قصص الأنبياء لتُطمئن قلب النبي ﷺ وقلب كل مؤمن:

نوح عليه السلام: صبر ألف سنة إلا خمسين ولم يؤمن معه إلا قليل، ومع ذلك لم يتراجع.

إبراهيم عليه السلام: جادل قومه بالحكمة فكادوا يحرقونه، فأنجاه الله من النار.

لوط عليه السلام: دعا قومه إلى الطهر فكذبوه، فدمرهم الله.

عاد، ثمود، قارون، فرعون، هامان، جميعهم جحدوا الحق... فكانوا عبرة لمن بعدهم.

هؤلاء لم يملكوا حصونًا من حديد، بل آمنوا بقوة الله وحده.

بيت العنكبوت هو بيت الوهم، ثم تضرب السورة مثلًا رائعًا: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾.

تخيل العنكبوت، تبني بيتًا من خيوط ضعيفة، لا يقي حرًّا ولا بردًا ولا عدوًّا. وهذا حال من يعبد غير الله، يتوهم القوة، بينما بيته أوهى بيت! ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾، فلا تعتمد على المال ولا الشهرة ولا الناس، بل استند إلى الله وحده.

الفوائد والقيم من السورة

- الإيمان لا يُقبَل دون صبر وثبات.
- لا تعتمد على أحد غير الله، فغيره كبيت العنكبوت.
- إن ثَبَتَّ على الحق فالله سيهديك وينصرك.
- من ظن أن الدين طريق سهل بلا اختبار فقد فَهِمَ خطأ.

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

سورة المطففين سورة مكية، عدد آياتها ٣٦ آية، واسمها مأخوذ من أول آية فيها: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾.

قصة نزول السورة ومضمونها

في سوقٍ مزدحم يتبادل الناس البيع والشراء، يد تمتد لتأخذ وأخرى تعطي، لكن بعضهم يأخذ حقه كاملًا ويُعطي ناقصًا! يغش في الكيل، يزن بميزانين. يرى نفسه ذكيًّا ناجحًا، لكنه في الحقيقة مطفِّف. وهنا نزلت سورة تهزُّ الضمير، وتقول بصوتٍ قوي: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾، الغش الخفيُّ الذي يراه الله.

﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾، هم لا يسرقون علنًا، لكنهم يغشُّون في الميزان في التقدير في المعاملة، ربما لا يلاحظ الناس فرق الغرامات، لكن الله يرى كل نقصٍ وكل نيَّة.

ثم تسأل السورة: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ هل نسي هؤلاء أنهم سيقفون أمام الله يومًا ما؟ سيُوزَن كل شيء، فكيف يأخذون الآن ما ليس لهم؟

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾: إنه كتابٌ أسود مغلق في مكانٍ ضيِّق وعميق، لا يُفتح إلا للعرض يوم الحساب وفيه كل أعمالهم.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾: إنه سجل المُهلَكِين.

وكانوا يسخرون: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾: في الدنيا إذا رأوا مؤمنًا مستقيمًا ضحكوا، وسخروا، وأشاروا بالأصابع، لكن في الآخرة تنقلب الآية.

الفوائد والقيم من السورة

- لا تستصغر الغش في الميزان أو التعامل، فهو كبيرة عند الله.
- إذا رأيت ظالمًا يسخر من المؤمنين فاصبر، فالجزاء في الآخرة.
- طهِّر قلبك من الذنوب، فالخطيئة تترك رَيْنًا يُغلق القلب.
- الثقة بعدل الله يجب أن تُطمئن قلبك في وجه الظلم الدنيوي.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

سورة البقرة هي أطول سورة في القرآن الكريم، وعدد آياتها ٢٨٦ آية، نزلت في المدينة، وتُعدُّ من أول ما نزل في العهد المدني، واشتملت على تشريعات كثيرة وأحداث تاريخية وحوارات مع بني إسرائيل وقصص متعددة، فهي سورة التأسيس والبناء.

قصة نزول السورة ومضمونها

كانت المدينة المنوّرة تتنفس بداية عهدٍ جديد، المسلمون صار لهم بيتٌ ومجتمعٌ ودولة، لكن السماء كانت تعلم أن المعركة الحقيقية ليست فقط في السيوف، بل في القلوب، فنزلت سورة طويلة، ليست لإطالة الكلام، بل لبناء أمة، سورة تُعلّم: من يطيع يرتفع، ومن يجادل يتيه.

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، من أول آية تقريبًا، تشعر أنها تقول: هذا كتاب يفرز الناس... ويكشف ما في الصدور.

ثلاثة أوجه تحت ضوء واحد

دخل الناس في الإسلام... لكن ليس الجميع بنفس الصدق؛ قوم آمنوا حقًا فكان القرآن لهم نورًا، قوم كفروا فصار النور بعيدًا عنهم، وقوم أخطرهم: المنافقون، يبتسمون أمام الناس ويخفون شيئًا آخر، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

كأن السورة تُمسك المصباح وتسلطه على القلوب واحدًا واحدًا.

البداية القديمة، آدم والعدو الخفي

ثم فجأة، تعود السورة بك إلى أول قصة على الأرض: آدم... تكريم، تعليم، سجود الملائكة، لكن إبليس تكبّر وقال: «أنا خيرٌ منه!».

سقط إبليس بكبره، وزلَّ آدم لكنه لم يتكبر، بل انكسر وتاب: ﴿فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾.

والدرس يضرب القلب بقوة: النجاة ليست ألا تخطئ، بل أن تتوب.

أمة رأت المعجزات، ثم قست القلوب

تبدأ السورة تفتح ملفّ بني إسرائيل، كأنه فيلم تاريخي طويل: نجاة من فرعون، شق البحر، منّ وسلوى... ومع ذلك لم يكن الشكر حاضرًا، بل كان التذمر والجدال.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾، ثم تأتي الجملة القاسية: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ...﴾، كأن القلب إذا لم يشكر... يتحول إلى حجر.

اختبار صغير يكشف مرضًا كبيرًا

جريمة قتل تقع بينهم، اضطراب واتهامات، والحل يأتي من السماء بسيطًا جدًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾.

أمرٌ واضح... لكنهم لم يسارعوا، بل بدأوا يسألون بتعنت: ما لونها؟ ما عمرها؟ كيف شكلها؟ حتى تحوّل الأمر السهل إلى مهمة شبه مستحيلة، إلى أن ختمت السورة هذا المشهد بجملة تُشبه الصفعة: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾.

ثم جاءت المعجزة وكُشف القاتل، لكن الرسالة كانت أعمق من كشف قاتل: لا تُعقّد أوامر الله... فالقلب المتعب يرهق نفسه بنفسه.

إبراهيم، رجل واحد يصنع قبلة أمة

بعد مشاهد التعنت... تأتي لقطة الطاعة الجميلة، إبراهيم يرفع قواعد الكعبة بخشوع: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾.

ثم يأتي امتحان جديد للمسلمين: تحويل القبلة، النفوس تُختبر: من يطيع؟ ومن يعترض؟

وجاء الأمر الحاسم: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.

المؤمن لا يناقش حين يكون الأمر من الله... بل يقول: سمعنا وأطعنا.

دستور حياة، يصنع أمة لا أفرادًا

هنا تتحول السورة إلى ورشة بناء ضخمة:

صلاة وصبر ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾، صيام، ليولد التقوى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، تحذير من الربا، لأنه فسادُ القلوب والمال، نظام للأسرة والطلاق، وآية الدين، لتتعلم الأمة الأمانة والعدل.

سورة البقرة تُربيك في بيتك، في سوقك، في قلبك... في حياتك كلها.

القليل الذي هزم الكثير

تأتي قصة طالوت وجالوت كذروة حماس، جيش قليل من المؤمنين أمام طاغية وجيش ضخم. لكنهم قالوا بقلوب ثابتة: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، ثم دعوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾، وجاء النصر... وسقط جالوت.

آية الكرسي، وخاتمة تذيب القلب

تصل السورة إلى قمة النور: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.

ثم تختم بدعاء المؤمنين الذي يشبه دمعة صادقة: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾.

كأن النهاية تقول: بعد كل الأوامر والقصص، تبقى الحقيقة: نحن ضعفاء، والله رحيم.

الفوائد والقيم من السورة

- الإيمان ليس بالقول، بل بالاتباع والطاعة.
- التاريخ عبرة، فلا تكن كمن سبقك في العصيان.
- القرآن يعلمك كيف تعيش: في بيتك، ومالك، وعقيدتك.
- الربا خطر والبركة في الإنفاق الحلال.
- سورة البقرة تطرد الشيطان كما في الحديث الصحيح.

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

سورة الأنفال هي سورة مدنية، عدد آياتها ٧٥ آية، ونزلت بعد غزوة بدر الكبرى، وتُركِّز على تنظيم شؤون الدولة الإسلامية الناشئة وعلى مبادئ النصر والهزيمة وأسباب التمكين والخذلان.

قصة نزول السورة ومضمونها

في السنة الثانية للهجرة... خرج النبي محمد ﷺ ومعه ٣١٣ مؤمنًا فقط لا ينوون قتالًا كبيرًا، بل لاعتراض قافلة تجارية لقريش، لكن ما حدث غيَّر وجه التاريخ.

قريش علمت بخطة المسلمين فجاءت بألف مقاتل مدججين بالسلاح يريدون سحق الإسلام في مهده. وفي لحظة فارقة بدأ فجر غزوة بدر الكبرى، وهنا نزلت سورة الأنفال.

لمن الغنائم؟ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ﴾. بعد المعركة اختلف بعض المسلمين في تقسيم الغنائم: من يستحقها؟ هل هم من قاتلوا في المقدمة؟ أم من كانوا في الخلف؟ أم من حملوا الراية؟

فنزل الجواب الحاسم: ﴿قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾.

الغنائم ليست غاية، بل الاختبار الحقيقي هو الطاعة والانضباط لا الطمع والجدال.

أحكام الغنائم والأسرى

بعد بدر: اختلف الصحابة في الغنائم، فجاء التوجيه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾.

وضعت السورة نظامًا عادلًا لتوزيع الغنائم: الخُمس لله والرسول (للمصلحة العامة) والباقي يُوزع على المجاهدين.

بعد المعركة: وقع بعض قادة قريش في الأسر، اختار النبي ﷺ الفداء، لكن الله بيَّن أن الأولى كان الحزم والشدَّة؛ لأن المعركة كانت فارقة في تاريخ الدين.

الفوائد والقيم من السورة

- لا تخف من قلة العدد، إذا كنت مع الله فالنصر أقرب مما تظن.
- التنظيم والانضباط والتقوى أهم من القوة الظاهرة.
- الأخلاق لا تسقط وقت الحرب، بل تظهر.
- لا تخُن الثقة، لا في السلم ولا في الحرب.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

سورة آل عمران سورة مدنية، عدد آياتها ٢٠٠ آية، وتُعدُّ من أعظم سور القرآن الكريم، نزلت بعد غزوة أُحد، وهي مكملة لسورة البقرة.

قصة نزول السورة ومضمونها

كانت المدينة تعيش زمنًا جديدًا، دولةٌ ناشئة، وأعداءٌ كثر، وأسئلةٌ كبيرة تأتي من كل اتجاه، فنزلت السورة تفتح قلب المؤمن على أصل الأمان: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، كأنها تقول: قبل الحوار وقبل الحرب، ثبّت قلبك على التوحيد.

وفد نجران يدخل المدينة

دخل وفدٌ كبير من نصارى نجران إلى المدينة، لباسهم فاخر، وهيبتهم عالية. كانوا علماء ووجهاء، وفي مقدمتهم رجلٌ له نفوذ الكلمة والقرار: العاقِب (أميرهم).

دخلوا مجلس النبي ﷺ ليسمعوا، لكنهم أيضًا جاؤوا ليُجادلوا، وكان سؤالهم الأكبر يدور حول شخصٍ واحد: عيسى عليه السلام.

تقدّم العاقب، نظر بثبات، وقال بمعنى حجته: «يا محمد، أنت تقول إن عيسى عبدٌ لله ورسول، ونحن نقول: كيف يكون بشرًا وهو وُلِد بلا أب؟ وكيف صنع المعجزات؟».

ساد صمت قصير، ثم جاء الجواب القرآني كالسهم: لا يجرح، لكنه يُسقط الشبهة من أصلها: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

كأن السورة تقول للعاقب: إن كانت الولادة بلا أب «دليل ألوهية»، فآدم أولى؛ خُلق بلا أب ولا أم، والمعجزة لا تجعل المخلوق خالقًا، بل تجعل النبي صادقًا.

العاقب حاول أن يُحكم الدائرة: «لكنكم تقولون: عيسى كلمة الله!»، فجاء المعنى القرآني واضحًا: نعم، كلمة الله لأنه خُلق بأمر (كن)، لا لأنه جزءٌ من الله، وتتأكد الحقيقة الكبرى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.

المناظرة تتبدّل، من بحثٍ إلى عناد

في البداية كان في كلام العاقب بحثٌ عن حجة، ثم ظهر شيء آخر: حرصٌ على مكانةٍ ونفوذ، والسورة تكشف هذا النوع من الناس: من يرى النور ثم لا يتبعه لأن الثمن «يُسقط الزعامة».

هنا جاء الحسم العظيم: ليس حسمًا بسيف، بل بحقيقةٍ أمام الله.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

المباهلة... لحظة لا يبقى فيها سوى «من يملك يقين الصادق»، والعاقب تراجع داخليًا، ليس خوفًا من مناظرة، بل خوفًا من دعاء صادق إن كان محمدٌ ﷺ نبيًا حقًا.

تشاوروا، وتوقفوا عند الحقيقة المرّة: إن دخلنا المباهلة ونحن على باطل فالهلاك قريب، فانسحبوا من المباهلة، ومالوا إلى الصلح بدل مواجهة السماء.

وهكذا أضاءت سورة آل عمران نقطة خطيرة: ليس كل من جادل كان يبحث عن الحق؛ بعضهم يجادل ليحمي مكانته.

آل عمران، بيت الطهارة الذي خرجت منه المعجزة

بعد المناظرة، تعود السورة إلى الجذر الطاهر: قصة آل عمران، وامرأة عمران تدعو من أعماقها: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾، فتولد مريم ويكبر نورها.

زكريا يدخل عليها المحراب فيجد رزقًا في غير أوانه: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾، ومن هذا المشهد يولد معنى: من صدق مع الله، جاءه الرزق من حيث لا يحتسب.

ثم تأتي بشارة عيسى عليه السلام، لتثبت السورة أن المعجزة ممكنة، لكنها لا تصنع إلهًا، بل نبيًا: ﴿كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾.

نداءات تُصلح الداخل

ثم تتسع السورة لتخاطب الأمة كلها: لا تتفرقوا، لا تتبعوا الشبهات، اثبتوا على الطاعة، واعرفوا أن القوة الحقيقية: في القلب.

ومن أعين السورة: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾، أي: السلطة ليست ضمانًا للحق، والحق لا يقاس بالسلطة.

أُحُد، حين انكسر المشهد ليتعلّم القلب

ثم تنتقل السورة فجأة من «مناظرة العقل» إلى «اختبار الميدان»، إنه يوم أُحُد، بدأت المعركة تبشر بنصر، ثم حدثت لحظة الانعطاف: بعض الرماة تركوا أماكنهم حين رأوا الغنيمة، فاختلّ الصف وتبدل المشهد.

الجراح، الفوضى، والشائعة المرعبة: «قُتل محمد!»، فتأتي الآية كصاعقة توقظ الإيمان من الصدمة: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ

قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾، أي: لا تربطوا دينكم بلحظة، ولا بانتصار، ولا حتى بحياة قائد، بل اربطوه بالله.

ثم تواسي القلوب: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، وتشرح سنة الابتلاء: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾.

بعد الخوف، يولد شعار الأبطال

يأتي التخويف: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾، لكن المؤمنين الحقيقيين لا يتراجعون، بل يزيدهم ذلك ثباتًا: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾، ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، وهنا يلتقي خيط السورة كله: مناظرة نجران، وقصة مريم، وأُحد، كلها تقول: الثبات هو عنوان أهل الحق.

وصية النهاية، طريق النجاة

تغلق السورة الستار بوصيةٍ كأنها عُقدٌ على قلب المؤمن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، اصبروا، ثم صابروا، ثم رابطوا، ثم اتقوا؛ سُلّم الفلاح.

الفوائد والقيم من السورة

- الحق لا يُفرض بالقوة، بل بالحوار الصادق والعقل.
- النصر لا يأتي بمجرد الأمنيات، بل بالثبات والطاعة.
- عيسى عليه السلام نبي لا إله، وولادته معجزة لا تبرر الشرك.
- كل هزيمة فيها درس، والعبرة في الرجوع والتوبة.

سُورَةُ الْأَحْزَابِ

سورة الأحزاب سورة مدنية، عدد آياتها ٧٣ آية، نزلت في فترة حساسة من تاريخ الدولة الإسلامية، وتحديدًا خلال وبعد غزوة الأحزاب (الخندق). سُمِّيت «الأحزاب» نسبة إلى التحالف الكبير الذي جمع قريشًا واليهود وقبائل العرب ضد النبي ﷺ والمسلمين في غزوة الخندق، وهم «الأحزاب».

قصة نزول السورة ومضمونها

في العام الخامس للهجرة، اجتمعت قريش وغطفان واليهود والمنافقون والأعراب في جيشٍ ضخم فاق العشرة آلاف جندي؛ لاقتلاع الإسلام من المدينة.

سمِّيت تلك المعركة بـ«غزوة الأحزاب» أو «غزوة الخندق» لأن المسلمين حفروا خندقًا حول المدينة لحمايتها، وفي تلك اللحظات العصيبة نزلت سورة الأحزاب لا لتحكي فقط عن المعركة، بل لتُربِّي القلوب وتُنظِّم المجتمع وتُطهِّر النفوس.

المدينة تحت الحصار

﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾.

الخوف كان عظيمًا، العدو يحاصر المدينة من كل جانب، والبرد شديد، والطعام قليل، والمنافقون يُشككون ويقولون: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾، لكن المؤمنين قالوا بثبات: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾.

نصر من حيث لا يُحتسب

الله لم يُنزل ملائكة تقاتل كما في بدر، بل أرسل ريحًا شديدة اقتلعت خيام الأحزاب وزرعت الرعب في قلوبهم. ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾، وانتهى الحصار دون قتال كبير؛ لأن الله هو الذي تولَّى الدفاع عن عباده.

تطهير الداخل قبل الخارج

ثم تتحدث السورة عن خيانتهم في الداخل (يهود بني قريظة)، الذين نقضوا العهد مع النبي ﷺ في أثناء الحصار، وكادوا أن يفتحوا ثغرة للعدو، لكن الله فضحهم وأعان المسلمين عليهم.

بيت النبوة ليس بيتًا كغيره

بعد المعركة انتقل الحديث إلى بيوت أمهات المؤمنين: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾، بيوتهن بيوت قدوة، عليهن الحياء، والحجاب، والتواضع، والذكر، والصبر.

ثم جاء التشريع العظيم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، فطهَّر الله بيت النبوة من كل نقص ليكون قدوة لكل بيت مسلم.

إلغاء التبني الظاهري وزواج زينب

قبل الإسلام كان الرجل إذا تبنَّى ولدًا صار كأنه ابنه في النسب!

لكن الإسلام ألغى هذا وأعاد الأمور لنصابها: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾، ثم أمر الله النبي ﷺ أن يتزوج زينب بنت جحش زوجة زيد (ابنه بالتبني سابقًا)؛ لإبطال عادة كانت تجعل زوجة المتبنَّى محرَّمة كأنها زوجة الابن!

كانت زينب مؤمنة مطيعة، وراضية بقضاء الله، فاختارها الله زوجةً لنبيِّه.

الفوائد والقيم من السورة

- الشدائد تكشف معدن الإيمان.
- الخيانة لا مكان لها في أمة الإسلام.
- لا نجاة إلا بطاعة النبي ﷺ.
- تكليف الإنسان أمانة ثقيلة فليكن أهلًا لها.

سُورَةُ الْمُمْتَحَنَةِ

سورة الممتحنة سورة مدنية، عدد آياتها ١٣ آية، وتركِّز على تنظيم علاقة المسلمين بغير المسلمين، خاصة في أوقات الحرب، وتُسمى «الممتحنة»، نسبة إلى امتحان النساء المؤمنات المهاجرات.

قصة نزول السورة ومضمونها

في لحظة حرجة من تاريخ الإسلام، وبينما النبي ﷺ يستعد لفتح مكة نزلت سورة الممتحنة لتكون درسًا عظيمًا في ضبط العاطفة والثبات على المبدأ وتقديم الإيمان على الدم والنسب.

قبل فتح مكة أرسل أحد الصحابة (وهو حاطب بن أبي بلتعة) رسالة سرية إلى قريش، يخبرهم فيها بتحرُّك المسلمين، لم يكن نفاقًا ولا خيانة صريحة، لكنه خشي على أهله، وأراد أن يصنع لهم «جميلًا»، فعلم النبي ﷺ بالأمر عن طريق الوحي، وأرسل عليًّا رضي الله عنه فأمسك بالمرأة التي تحمل الرسالة وأعادها قبل أن تصل.

فقام عمر بن الخطاب غاضبًا، وقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق! لكن النبي ﷺ قال: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال:

اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». فنزلت الآيات الأولى من سورة الممتحنة لتضع ميزان الولاء الحقيقي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾.

حتى لو كانوا أقرباءك، فلا يجوز أن تنقل إليهم أسرار المؤمنين بدافع العاطفة.

قدوتكم إبراهيم الخليل

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾، إبراهيم عليه السلام عندما رأى قومه على الكفر تبرَّأ من أقرب الناس إليه، حتى من أبيه! وقال: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، فكانت البراءة من الكفر شرطًا للإيمان الخالص حتى لو كانت العاطفة تميل لأهل الكفر.

النساء المؤمنات المهاجرات

ثم يأتي الحدث الذي سُمِّيت السورة بسببه «الممتحنة».

بعد صلح الحديبية بدأ بعض النساء المؤمنات من مكة يهربن إلى المدينة ويلتحقن بالنبي ﷺ، تاركات خلفهن المال والأهل، لكن صلح الحديبية كان ينص على إعادة من يهرب من مكة! فهل تُعاد النساء أيضًا؟ فنزلت الآيات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾؛ أي: اختبروهنَّ، هل خرجن إيمانًا أم هربًا من زواج أو

مشكلات؟ فإن صَدَقْنَ لا يجوز ردهن للكفار؛ لأنهن أصبحن جزءًا من جماعة الإيمان.

ثم وضعت السورة حكمًا مهمًّا

لا يجوز أن تظل المؤمنة زوجةً لكافر، ويجوز للمسلم أن يتزوَّج امرأة مؤمنة من المهاجرات بعد التأكد من صدقها، ومن خسر زوجه أو ماله بسبب الهجرة فليُعَوِّض مما ترك الكافر في المدينة، إنها عدالة ربانية تحفظ الحقوق حتى بين من فرَّقهم الدين.

الفوائد والقيم من السورة

- العقيدة فوق أي علاقة أو مصلحة.
- لا تظن أن كل مودة جائزة، الموالاة في الدين لها حدود.
- الهجرة ليست شعارًا، بل اختبار لصدق الإيمان.
- لا تيأس من قلوب الأعداء، فقد يبدِّل الله حالهم.

سُورَةُ النِّسَاءِ

سورة النساء سورة مدنية، عدد آياتها ١٧٦ آية، وهي من أطول السور المدنية، وتُعنى بتنظيم المجتمع المسلم وخاصة الأسرة وحماية الحقوق ومعالجة الظلم والضعف، لذا سُمِّيت بـ«النساء» لكثرة ما ورد فيها من أحكام تتعلق بهن.

قصة نزول السورة ومضمونها

في مجتمعٍ كان الرجل فيه يملك كل شيء، وكانت المرأة تُورَث كما يُورَث المتاع، ويُحرَم اليتيم وتُقتل النفوس ظلمًا وتُهدر الحقوق، نزلت سورة طويلة عظيمة شاملة اسمها يكفي لتشعر برحمتها: «سورة النساء».

حقوق المرأة والميراث

دين الإسلام يهتم بالمرأة وبتفاصيل حياتها اهتمامًا عظيمًا وشاملًا، ويتجلى هذا في كثير من النصوص الشرعية والتشريعات العملية التي تحفظ كرامتها وتصون حقوقها وترفع من شأنها.

منع أكل مالها واحترام إرادتها في الزواج وتحريم ظلمها أو إجبارها.

تحديد مهور النساء بوضوح: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾.

لأول مرة في تاريخ العرب نزل قرآن يفرض للمرأة حقها في الميراث: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾، لا مزيد من التهميش، لا مزيد من الظلم.

حتى الأرامل والمطلقات لهن حقوق لا تُؤخذ منهن بالقهر. وسمَّت السورة من يتعدَّى هذه الحدود ظالمًا ومفسدًا وخائنًا للأمانة.

من القضايا الشخصية إلى قضايا الأمة

السورة تنتقل من حماية المرأة والضعيف إلى قضايا كبرى؛ الجهاد في سبيل الله دفاعًا عن المستضعفين وإدارة أموال الأيتام ووضع ضوابط الإرث والوصية والعدل حتى مع العدو. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾.

الفوائد والقيم من السورة

- الإسلام جاء ليُكرم المرأة لا ليظلمها.
- لا تظن أن الفقه تفصيلات جافة، بل هو عدل ورحمة.
- حماية حقوق الضعفاء أصل في الشريعة.
- العلاقة مع غير المسلمين يجب أن تكون بحذر وعدل.
- لا مساومة في العقيدة لكن لا ظلم في التعامل.

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

سورة الزلزلة سورة مدنية، عدد آياتها ٨ آيات فقط، لكنها من السور العظيمة التي تُجسِّد مشهد الزلزلة الكبرى يوم القيامة بشكل مؤثر يهزُّ القلب.

قصة نزول السورة ومضمونها

كان الناس يظنون أن هذه الحياة ستدوم، وأنهم إذا ماتوا انتهى كل شيء، حتى نزلت سورة قصيرة لكنها ترجُّ القلوب وتُصوِّر مشهد النهاية بلغةٍ لا تُنسى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، تبدأ السورة بوصفٍ رهيب لأعظم زلزلة في التاريخ، ليست زلزلة طبيعية، بل زلزلة يوم القيامة، حين يأمر الله الأرض أن تهتز حتى تفكك أعماقها.

﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ تخرج الأرض كل ما في بطنها: الأموات، والكنوز، والأسرار المخفية منذ آلاف السنين. ثم: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ في ذهول الإنسان يسأل: ماذا يحدث؟

لكن الجواب يأتي: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾، الأرض تتكلم وتشهد على من مشى فوقها، مَن ظَلَم، مَن سبَّح، مَن خان، مَن سجد، مَن أفسد، لن يفلت أحد!

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ذرة! أصغر شيء يمكن تخيله، سيُعرض يوم القيامة. لا عمل يُنسى ولا نية تُهمل، لذلك لا تستَهِن بأي عمل، حتى وإن ظننته بسيطًا فكل شيء مسجَّل في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة.

الفوائد والقيم من السورة

- يوم القيامة يوم عظيم مزلزل، فاستعد له.
- لا تستصغر أي عمل، فكل ذرة محسوبة.
- الأرض التي تمشي عليها ستشهد عليك.
- راقب نفسك فأعمالك تُسجل في كل لحظة.

سُورَةُ الْحَدِيدِ

سورة الحديد سورة مدنية، عدد آياتها ٢٩ آية، وهي أولى سور المسبحات (أي التي تبدأ بتسبيح الله)، وتجمع بين تعظيم الله، والدعوة إلى الإيمان، والإنفاق، والجهاد، وقضية النور والظلمة يوم القيامة.

قصة نزول السورة ومضمونها

في وقتٍ بدأ فيه الإسلام يتمدد والدنيا تُفتح للمسلمين نزلت سورة الحديد لتذكِّرهم بأن القوة لا تكمن في السيوف وحدها، بل في الإيمان والتجرد والنية والتوازن بين الدنيا والآخرة.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، تبدأ سورة الحديد بتسبيحٍ كوني شامل، كل ما في السماوات والأرض يسبِّح الله؛ لأنه الخالق المدبِّر العزيز الحكيم. لكن السورة ليست فقط عن الكون، إنها دعوة للبشر ليكونوا جزءًا من هذا الانسجام الكوني عبر الإيمان الصادق والجهاد الصادق والنية الصافية.

بيان عظمة الله في الخلق

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: السورة تُعرِّفك بربك، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾... ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾، فإذا علمت أنه معك، كيف تعصيه؟ وإذا أيقنت أنه يراك، كيف لا تخشاه؟

نور المؤمنين والمنافقين يوم القيامة

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، النور يكون أمام المؤمنين يُضيء طريقهم. بينما المنافقون يُتركون في الظلمة، فينادون أهل النور: ﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾، لكن الرد يأتي حاسمًا: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾.

ثم يُضرب سور عظيم بينهما له باب داخله رحمة ونور خارجه عذاب وظلمة.

الفوائد والقيم من السورة

- الإيمان الحقيقي = معرفة الله + العمل لله.
- لا تؤخر توبتك، فإن قلبك قد يقسو.
- المنافق يُفضَح يوم القيامة بنقص النور.
- أنفق مما تحب فهو استثمار أبدي.
- قوة الحديد يجب أن تُستخدم للحق لا للظلم.

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

سورة محمد (وتُسمَّى أيضًا سورة القتال) سورة مدنية، عدد آياتها ٣٨ آية، ونزلت في المرحلة القتالية من الدعوة عندما أصبح الجهاد فريضة لحماية الدين والدولة الناشئة.

قصة نزول السورة ومضمونها

في المدينة، وبينما المسلمون يستعدون لمواجهة أعدائهم في أول مواجهة كبيرة بالسيوف نزلت سورة تحمل اسمًا غاليًا على كل مؤمن: «سورة محمد» ﷺ.

سورة تحمل اسم النبي لا لتكون تكريمًا فقط، بل لتكون بيانًا واضحًا؛

أن الطريق الذي سار فيه محمد ﷺ هو طريق الحق والتضحية والصبر والنصر في النهاية.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝١ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾.

تبدأ سورة محمد بتقسيم واضح بين فريقين: من كفر بالله وصدَّ الناس عن الإيمان، ومن آمن وعمل صالحًا.

والمصير مختلف تمامًا: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾، السورة تُسمي محمدًا ﷺ بالاسم، وتربط اتِّبَاعَه بالإيمان الحقيقي.

تشريع القتال وهدفه النبيل

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾، تصف السورة أحكامًا وقت القتال: حين يُفرض الجهاد لا يكون بالرغبة في الدم، بل لنُقيم الحق ونرفع الظلم، والقتال: اختبار يميز بين الصادق والمنافق.

صفات الكافرين والمنافقين

تصف السورة المنافقين الذين إذا أُصيبوا خافوا، وإذا قِيل لهم تعالوا تولوا، وإذا رأوك منتصرًا أظهروا الولاء كذبًا، لكن الله يعلم السرائر: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾؟

الفوائد والقيم من السورة

- لا يكفي الإيمان بالقلب، لا بد من البذل والإنفاق.
- الجهاد فريضة لحماية المظلوم لا لإكراه الناس.
- الجنة ليست بالأماني، بل بالعمل والتضحية.
- لا تتقاعس عن نصرة الحق، فالله قادر على استبدالك.

سُورَةُ الرَّعْدِ

سورة الرعد هي سورة مدنية (مع آيات مكية)، عدد آياتها ٤٣ آية، وتُركِّز على عظمة الله في الكون، وحقيقة الوحي، ووحدة الرسالة وموقف الناس منها. وسُمِّيت «الرعد» لورود ذكر الرعد كظاهرة تُسبِّح الله، وهو مشهدٌ مهيب يُعبِّر عن قدرة الله وعظمته.

قصة نزول السورة ومضمونها

كان الناس ينظرون إلى السماء حين تتلبّد بالغيوم، تلمع البروق فجأة كالسيوف في ظلام السحاب، ثم يدوّي الرعد، فيرتجف القلب قبل الجسد. وهنا تخبر السورة أن هذا الصوت ليس عبثًا: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾، حتى الظواهر التي يخاف منها البشر، هي في حقيقتها تسبيح وطاعة.

ثم تُريك السورة مشهد المطر وهو ينزل، وكيف يجري الماء في الأودية، ويحمل الزبد فوقه، زبدٌ يعلو لحظة ثم يختفي، وماءٌ يبقى وينفع، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾، كأنها تقول: الباطل قد يعلو بالصوت، لكن الحق هو الذي يبقى.

نهر الحياة ووجهان للناس

تنتقل السورة إلى الناس؛ منهم من إذا سمع الحق خضع، ومنهم من يقلب وجهه ويقول بسخرية، ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾، أي: كلما جاءت آية طلبوا غيرها، كأنهم لا يريدون الهداية بل يريدون حجة للرفض، لكن السورة تجيبهم: ليست المشكلة في الدليل، بل في القلب الذي لا يريد أن يرى.

ثم تأتي آية كأنها مفتاح السورة كله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾، كأن السورة تقول: لن يتغير واقعك، حتى يتغير قلبك، نيتك، طريقك، صدقك.

المؤمنون والمعاندون

ثم ترسم السورة لوحة مختلفة تمامًا، أناس يحبون الله، ويثبتون على العهد، ويصلون ما أمر الله به أن يوصل، ويصبرون على الحق: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، طمأنينة لا يشتريها مال، ولا يمنحها منصب، إنها هدية الذكر، ثم الوعد: ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾.

وفي مشهدٍ مؤثر، الملائكة تدخل عليهم من كل باب، كأنها تهنئهم بعد رحلة الصبر ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

وفي المقابل، تُظهر السورة قومًا نقضوا العهد وقطعوا الأرحام وأفسدوا في الأرض، لهم في الدنيا ضيق، وفي الآخرة عذاب أشد، كأنهم مثل الزبد الذي يعلو ثم يذهب، ضوضاء بلا بقاء.

النبي ﷺ ليس مُجبرًا لهم لكنه شاهدٌ على الحق

وتختم السورة بتثبيت النبي ﷺ، مهمتك البلاغ، والهداية بيد الله: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، ثم تأتي كلمة كأنها توقيع سماوي: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾.

الفوائد والقيم من السورة

- تأمَّل في خلق الله تجد دليلك للإيمان.
- الباطل مهما انتفش لا يدوم.
- لا تيأس من الهداية، الله يهدي من يشاء بحكمته.
- تسبيح المخلوقات تذكيرٌ لك بأن تخشع أنت أيضًا.

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

سورة الرحمن هي سورة مدنية (وقيل: مكية)، عدد آياتها ٧٨ آية، وتُلقب بـ«عروس القرآن» لما فيها من جمال التعبير، وتوازن النِّعم، وتكرار الآية الشهيرة: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قصة نزول السورة ومضمونها

في هدوء الليل، وبينما يتلو النبي ﷺ القرآن، نزلت سورة تغنيها السماء وتخشع لها الأرض، وتُدهش بها القلوب، إنها سورة الرحمن التي افتتحت باسمٍ يكفي وحده ليهزَّ قلبك: ﴿الرَّحْمَنُ﴾.

اسم يحمل الرحمة الشاملة التي سبقت الغضب، رحمة تمتدُّ من خلق الإنسان إلى الجنَّة ذات الأنهار ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾.

تأمل! الله علَّمك كيف تتكلم، كيف تعبِّر، كيف تفهم، أنت لست مجرد مخلوق يأكل ويمشي، بل مخلوق يُدرِك ويتعلم ويختار.

النِّعم الكونية

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾، كل شيء في الكون يسير بنظام دقيق، لا الشمس تتأخر ولا القمر يتقدم.

النجوم، الشجر، البحار، كلها تسبِّح بحمد خالقها. لكن السؤال: هل تُسبِّح أنت؟ ثم يتكرَّر السؤال الذي يوقظ القلب: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ كأن الله يقول: هل تُنكر كل هذا الجمال؟ كل هذا الإحسان، البحر واللؤلؤ، والسفن: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾.

البحران: مالح وعذب، لا يختلطان! ومنهما تخرج اللآلئ والمرجان وفيهما تجري السفن كالأعلام، فمن يُدير هذا كله؟ من يرزقك منه؟ ثم يعلو النداء مرة أخرى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

الفوائد والقيم من السورة

- لا تنكر نعمة، فكل شيء من «الرحمن».
- شكر النعمة يكون بالاعتراف بها وبالعمل.
- الجنة والنار حقيقيتان، فاختر لنفسك.

سُورَةُ الْإِنْسَانِ

سورة الإنسان (وتُسمَّى أيضًا: الدهر) سورة مدنية، عدد آياتها ٣١ آية، وتتناول في مضمونها قصة الإنسان مع الابتلاء، والجزاء الأخروي، وصفات الأبرار، ونعيم الجنة.

قصة نزول السورة ومضمونها

تبدأ السورة بسؤال عجيب، كأنه يوقظ الإنسان من نومٍ طويل: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾، كأنها تقول لك: تذكر... كنت يومًا لا شيء، لا اسم، لا أثر، ثم أرادك الله فكنت، ثم يفتح القرآن مشهد الخلق: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، أمشاج: خليط، بداية صغيرة جدًا، لكن وراءها ابتلاء كبير.

اختبار الاختيار

الله لم يخلق الإنسان ليُساق بلا إرادة، بل أعطاه طريقين: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾، بابان... طريق شكرٍ وطاعة، وطريق جحودٍ ومعصية، وأنت الذي تختار.

صورة مرعبة لمن أعرض

ثم تنتقل السورة فجأة إلى مشهدٍ مخيف لأهل الكفر: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾، قيود... نار... عذاب... كأن السورة تُريك النهاية قبل أن تقع، لتنجو.

أبطال القصة، «الأبرار»

ثم يفتح الله بابًا من النور، ويظهر فريقٌ آخر... أناسٌ لم يكونوا ملائكة، لكنهم صدقوا، ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾.

جنةٌ باردة الروح، عذبة النعيم... لكن السؤال: لماذا استحقوا هذا التكريم؟ يأتي الجواب في مشاهد إنسانية مؤثرة: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾، إنهم يخافون يوم القيامة... فيُصلحون حاضرهم.

ثم تأتي لقطة من أجمل لقطات القرآن: أهل بيتٍ مؤمنين يطعمون الطعام وهم في حاجة إليه... يعطون المسكين واليتيم والأسير، ثم يقولون في سرّهم: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾.

هنا تظهر «قمة الإخلاص»: عملٌ لا ينتظر تصفيقًا... ولا كلمة شكر... فقط وجه الله.

المكافأة التي تُبكي الفرح

ثم يكافئهم الله بما لا يخطر على قلب بشر: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾، نضرة في الوجوه، وسرور في القلوب، ويقال لهم: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾، ظلال، أرائك، أكواب، عيون، سلام، نعيمٌ ليس فقط للأجساد، بل للأرواح.

وصية للنبي ﷺ ولنا

وفي نهاية السورة تأتي رسائل الثبات: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾، ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾، كأنها تقول: الطريق يحتاج صبرًا، لكن النهاية عظيمة، ثم تضع الحقيقة الأخيرة: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، أنت تختار وتسعى، لكن التوفيق بيد الله.

الفوائد والقيم من السورة

- لا تنس أصلك، كنت لا شيء فاختر الخير ما دمت قادرًا.
- الإخلاص أساس القبول، لا تطلب شكر الناس بل رضى الله.
- النعيم لا يُنال بالتمني، بل بالصبر والطاعة والإحسان.

سُورَةُ الطَّلَاقِ

سورة الطلاق سورة مدنية، عدد آياتها ١٢ آية، وتُسمّى أيضًا «سورة النساء الصغرى»؛ لأنها تُعالج جانبًا دقيقًا جدًّا من حياة الأسرة: الطلاق وتنظيمه بما يرضي الله ويمنع الظلم.

قصة نزول السورة ومضمونها

في المدينة، بيتٌ كان بالأمس دافئًا... صار اليوم مليئًا بالتوتر وسوء فهم، غضب، كلمات قاسية... ثم تخرج العبارة الثقيلة: «أنتِ طالق».

كان بعض الناس يطلق في لحظة غضب، ثم يندم.

وبعضهم يكرر الطلاق، أو يخرج زوجته فورًا من البيت، أو يضيّق عليها لتتنازل عن حقوقها.

فتتحول البيوت إلى ساحات نزاع، ويضيع الأطفال، وتُكسر القلوب.

هنا نزلت سورة الطلاق لتضع حدًا للفوضى، وتقول: الطلاق ليس لعبة... إنه حكمٌ له حدود. ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ

لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾. أي: طلاق مضبوط، وعدّة محسوبة، لا عبث ولا تلاعب.

لا تخرجوها من بيتها، فربما يعود كل شيء

جاءت مفاجأة رحيمة: لا يجوز أن تُطرد المرأة مباشرة من البيت، ولا أن تخرج هي كذلك... لأن فرصة الرجوع قد تكون قريبة، ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾، ثم لمسة أمل تُشبه نافذة نور: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾، كأن السورة تقول: اهدأوا... ربما تصلح النفوس... وربما يعود الحب... فلا تغلقوا الباب بعنف.

العِدّة، حماية لا عقوبة

العدّة ليست إذلالًا، بل حماية للحقوق، وحفظ للأنساب، ومنع للتسرّع، ثم تعالج السورة الحالات التي قد يحتار فيها الناس: من لا تحيض، ومن انقطع حيضها، والحامل، وعدتها حتى تضع حملها، ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾.

لا انتقام، النفقة والسكن بالمعروف

حتى لو وقع الطلاق، لا يتحول الأمر إلى حربٍ نفسية. ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾، ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾.

ثم يأتي الميزان العادل؛ الغني ينفق بسعته، ومن قلّ رزقه ينفق مما آتاه الله: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا ءَاتَىٰهُ اللَّهُ﴾، حتى موضوع الرضاعة لا يُترك للفوضى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾.

الرسالة: الطلاق ينهي العلاقة الزوجية، لكنه لا ينهي الإنسانية والحقوق.

كلمة السر في أصعب وقت، التقوى

وسط الأحكام كلها، تكرر السورة المعنى الذي يُصلح كل شيء: اتقوا اللهن لأن الطلاق غالبًا وقت غضب، والظلم فيه سهل، فكان الدواءُ التقوى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، كأن الله يهمس للقلوب المنكسرة: لا تخافوا، إذا اتقيتم الله، فتح لكم أبوابًا لا تتوقعونها.

تحذيرٌ ثم نور

ثم تُذكّر السورة أن من يتلاعب بأوامر الله يعرّض نفسه للعقوبة، وتذكر مصائر من عصوا: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾.

ثم تختم بأن الله لم يترك الناس بلا هدى، بل أنزل الذكر وأرسل الرسول: ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ اللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾.

الفوائد والقيم من السورة

- حتى الطلاق له أدب وشرع، فلا يُستخدم للانتقام.
- التقوى تُخرِج الإنسان من أضيق المآزق.
- العدل لا يسقط عند الغضب، بل يظهر عنده.
- حفظ الأسرة لا يكون بالقوة بل بالرحمة، وحتى الانفصال يجب أن يكون بكرامة.

سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

سورة البينة سورة مدنية، عدد آياتها ٨ آيات، وتتناول وضوح الرسالة المحمدية، وسبب كفر أهل الكتاب والمشركين رغم البينة، وتُبيِّن جزاء المؤمنين والكافرين.

قصة نزول السورة ومضمونها

كان أهل مكة يرون القرآن يُتلى، لكن في الأطراف الأخرى كان أهل الكتاب -اليهود والنصارى- ينتظرون علامة يظنون أنها ستكون «دليلًا أخيرًا» يقطع الجدل.

كان بعضهم يقول: «لن نتغيّر حتى تأتينا البيّنة... الدليل الواضح الذي لا شك فيه»، فجاء القرآن يعلن الحقيقة الصادمة: ليس المشكلة نقص الأدلة... بل عناد القلوب، ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾.

البيّنة تصل، رسولٌ يتلو صحفًا مطهّرة

ثم تكشف السورة: ما هي «البينة»؟ ليست معجزة عابرة... ولا علامة غامضة... إنها رسول من عند الله يحمل كتابًا يهدي ويصحّح ويقيم الحجة: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾، ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾.

كأن المشهد يقول: ها هي البيّنة التي كنتم تنتظرونها... قرآنٌ واضح، ورسولٌ أمين، وتعاليم مستقيمة.

بعضهم ازداد تفرّقًا بعد وضوح الحق

العجيب أن المفروض بعد «البيّنة» أن ينتهي الخلاف... لكن السورة تكشف شيئًا مؤلمًا: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾، أي: جاءهم الدليل، لكن بعضهم لم يتبعه... ليس لعدم وضوحه، بل لأن اتباعه يحتاج تواضعًا وصدقًا.

الدين بسيط، لكنه يحتاج قلبًا صادقًا

ثم تختصر السورة جوهر الرسالة في كلمات قليلة، كأنها «قاعدة الحياة»: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، ﴿حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾، ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾.

الإسلام هنا ليس تعقيدًا... بل إخلاصٌ لله، وصلاةٌ تصلح القلب، وزكاةٌ تصلح المجتمع.

الفرز النهائي، خير البرية وشر البرية

ثم تأتي النهاية كقضاءٍ يُقرأ في المحكمة الأخيرة، الذين كفروا وأعرضوا بعدما قامت عليهم الحجة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾، ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾.

والذين آمنوا وعملوا الصالحات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ... رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.

وينتهي المشهد بجملة تختصر طريق النجاة كله: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾.

الفوائد والقيم من السورة

- لا عذر بعد وضوح البيِّنة، فمن كفر بعدها فقد تعمَّد الضلال.
- ليس كل من عنده علم يهتدي، بل الإخلاص هو الأساس.
- العبادة ليست شكلًا فقط، بل نية وإخلاص.
- الفرق بين «خير البرية» و«شر البرية» قرار واختيار.

سُورَةُ الْحَشْرِ

سورة الحشر سورة مدنية، عدد آياتها ٢٤ آية، وتُسمَّى أيضًا «سورة بني النضير»؛ لأنها تتحدث عن إجلاء يهود بني النضير من المدينة بعد خيانتهم للعهد مع النبي ﷺ.

قصة نزول السورة ومضمونها

في المدينة المنوَّرة كان هناك حيٌّ قويٌّ يسكنه قوم يُدعون بني النضير من أهل الكتاب.

كانوا يملكون الحصون العالية والسلاح والمال ويعيشون في أمن ظاهر، لكن قلوبهم كانت مملوءة بالمكر والخيانة. كانوا قد عاهدوا النبي محمدًا ﷺ على السلم لكنهم في السر خططوا لقتله!

الخيانة الكبرى

ذات يوم ذهب النبي ﷺ إليهم يطلب معونة في دية قتيل كما نص الاتفاق. فقالوا: «نعم اجلس في الظل وسنأتيك بما تريد». لكنهم صعدوا

فوق السطح وخططوا لإسقاط حجر ضخم عليه ﷺ! فأوحى الله إليه فقام وانصرف في اللحظة الأخيرة!

عندها نزل أمر من السماء: قد انتهى عهدهم، لقد خانوا ولا أمان للخونة.

الحصار والنهاية الغريبة

أمر النبي ﷺ المسلمين بمحاصرتهم، فاختبأوا داخل الحصون، وقالوا بثقة:

«من يستطيع دخولها؟ نحن آمنون!». لكن الله أنزل الرعب في قلوبهم... صاروا يخربون بيوتهم بأيديهم كي لا تصل إليها أيدي المسلمين. نعم كما أخبر الله: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الْأَبْصَارِ﴾.

خرجوا من ديارهم أذلاء بعد أن كانوا يظنون أن حصونهم مانعتهم.

الفيء: غنيمة بلا قتال، والعجيب أن المسلمين لم يخوضوا قتالًا كبيرًا، بل استسلم العدو فصارت الأموال والمزارع غنيمة، تُسمى: «فيئًا». لكن كيف وزَّعها النبي ﷺ؟

أنزل الله: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾... ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ الذين خرجوا من مكة بلا مال. ثم قال عن الأنصار: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

وهكذا تعلَّمت الأمة درسين: لا بقاء للخائن، ولا مجد إلا بالإيمان والإيثار.

وفي نهاية السورة يقول الله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾: أي إن القرآن عظيم، حتى الجبال تتصدَّع منه فكيف بالقلوب الغافلة؟

الفوائد والقيم من السورة

- الخيانات السياسية والدينية لها ثمن.
- لا تصدق وعود المنافقين، فهم يتخلون عند الشدة.
- المؤمن الحقيقي يُؤثِر غيره حتى وهو محتاج.
- من عرف الله بأسمائه وصفاته ازداد إيمانًا وخشوعًا.

سُورَةُ النُّورِ

سورة النور سورة مدنية، عدد آياتها ٦٤ آية، وتُعَد من أعظم السور في القرآن في تنظيم المجتمع المسلم من حيث: العفة، الطهارة، الأدب، وضبط العلاقات الاجتماعية.

قصة نزول السورة ومضمونها

خرج النبي ﷺ في غزوة ومعه زوجته الطاهرة عائشة رضي الله عنها. وفي طريق العودة توقفت القافلة وذهبت عائشة لقضاء حاجة، فلما عادت وجدت القافلة قد تحركت دون أن ينتبهوا لغيابها. جلست تنتظر حتى مرَّ بها أحد الصحابة الطيبين صفوان بن المعطل، فعرفها وأخذها على راحلته حتى لحقت بالقافلة. وهنا بدأ الافتراء.

المدينة تهمس، والقلوب تتألم، أخذ المنافقون في نشر الشائعات. قالوا كلامًا باطلًا عن أم المؤمنين، وانقسم الناس: من آمنوا بها دافعوا عنها، ومن في قلوبهم مرض صدَّقوا الكذب، والنبي ﷺ كان حزينًا، ينتظر وحي السماء.

وعائشة الطاهرة كانت تبكي ليلًا ونهارًا حتى فقدت دموعها.

ثم نزل النور من السماء. وفي لحظة حاسمة نزلت آيات من الله في سورة عظيمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

لقد برَّأ الله عائشة من فوق سبع سماوات! وسقط الكذب وارتفع الحق وبقي النور.

دروس صارمة من الله

ثم نزلت أحكام قوية لتنقية المجتمع؛ الجلدُ للقاذِف الكاذب: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾.

تحذير من إشاعة الفاحشة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

بعد كل هذا جاءت الآية التي تُعد من أروع ما نزل: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾، النور لا يأتي من الشائعات، بل من القرآن والطهارة والرحمة والعدل.

الفوائد والقيم من السورة

- لا تتسرَّع في تصديق أي تهمة، حتى وإن جاءت ممن تثق به.
- أعراض الناس ليست مجالًا للحديث، بل ساحة للوقوف مع الحق.
- المجتمع الطاهر يبدأ من البيت والعين واللسان.
- نور الله لا يُرى، لكنه يُحسُّ في القلب والعمل.
- حتى النبي ﷺ له مكانة خاصة لا يجوز تخطيها.

سُورَةُ الْحَجِّ

سورة الحج هي سورة مدنية (مع بعض الآيات المكية) عدد آياتها ٧٨ آية، وهي السورة الوحيدة في القرآن التي سُميت باسم ركن من أركان الإسلام الخمسة: الحج.

قصة نزول السورة ومضمونها

السورة تفتح نافذة على لحظةٍ تهتزّ فيها الدنيا كلها، لا مقدّمات طويلة، بل نداءٌ يوقظ القلب من الداخل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾.

ثم تلتقط السورة المشهد في لقطةٍ مرعبة: أمٌّ تنسى رضيعها من هول الموقف، والناس يبدون كالسُّكارى وهم ليسوا بسكارى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

من ترابٍ إلى إنسان، حجة الخلق

ثم تنتقل السورة من مشهد القيامة إلى داخل الإنسان نفسه، إلى بدايته الأولى، كأنها تمسك بيد الشاك وتُريه: كيف تنكر البعث وأنت معجزة تمشي؟ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾.

تُفصّل المراحل، قطرةً ثم علقةً ثم مضغة، ثم خروجًا إلى الحياة، والرسالة واضحة: الذي بدأ الخلق قادرٌ على إعادته.

البيت العتيق، حين نادى إبراهيم في الناس

ثم فجأةً يتغير المشهد إلى قداسة المكان، والقصة التي بدأت بأمرٍ إلهي لإبراهيم عليه السلام أن يُهيّئ المكان للطائفين والعاكفين والساجدين: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

ثم يأتي المشهد الذي يحرّك القلب إبراهيم يقف وينادي، نداءً يعبر القرون: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.

تخيّل الصوت وهو يرتفع في الصحراء، ثم ترى استجابته اليوم: قلوبٌ تهفو، وخطىً تتجه، وألسنةٌ تلبّي، ليس مجرد سفر، بل استجابة نداءٍ قديم.

شعائر، ليست طقوسًا بلا روح

ثم تُعلّمك السورة أن الحج ليس صورًا تُلتقط، ولا حركاتٍ تُؤدّى فقط، بل «شعائر» لها معنى، وتعظيمها من تقوى القلوب: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

وتأتي آيات الهدي والذبح لتصنع التوازن: ظاهر العبادة مهم، لكن القلب هو الأساس وتختم المعنى بقاعدةٍ عظيمة: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾؛ أي: ليس المقصود دمًا ولا لحمًا، المقصود قلبٌ صادق.

من حرمة البيت إلى واقع الابتلاء، ثم الإذن بالدفاع

ثم تنتقل السورة إلى ساحةٍ أخرى، ساحة الابتلاء في الدنيا، مؤمنون أُخرجوا من ديارهم، أوذوا، ضُيّق عليهم، حتى جاء الإذن الذي كان ينتظره المظلومون: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

الفوائد والقيم من السورة

- الحج ليس رحلة فقط، بل تجديد للعهد مع الله.
- لا تتكلم في الدين دون علم، فذلك من صفات المعاندين.
- الإسلام لا يدعو للعنف، لكنه يأذن بالقتال للدفاع والحرية.
- الله لا ينظر إلى الطقوس، بل إلى النية والتقوى.

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

سورة المنافقون سورة مدنية، عدد آياتها ١١ آية، تحمل تحذيرًا صارخًا من أخطر مرض يصيب القلوب: النفاق. وتكشف لنا مشهدًا داخليًّا عن أناس يبتسمون في وجه النبي ﷺ لكنهم يُخفون الخيانة وراء ظهورهم.

قصة نزول السورة ومضمونها

في المدينة كان هناك رجل يُدعى عبد الله بن أُبيٍّ. كان قبل الإسلام يحلم أن يكون زعيمًا للمدينة، فلما جاء الإسلام وهاجر النبي ﷺ إليها شعر أن نور النبي ﷺ طغى على سلطانه.

فقال في نفسه: سأُظهر الإسلام، وأُخفي الكُرْه.

وهكذا أصبح رأس المنافقين.

ابتسامة كاذبة وقلب مظلم

كان عبد الله بن أُبيٍّ يقف أمام النبي ﷺ ويقول: «نشهد إنك لرسول الله»!

لكن الله قال: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾؛ لأنهم لا يقولونها حبًّا، بل نفاقًا. كلماتهم حلوة، لكن قلوبهم فاسدة، كانوا يقولون كلامًا جميلًا: «نحن معكم. نحن مؤمنون». لكن الله قال عنهم: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾، كانوا يخافون أن تُفضَح أسرارهم لأنهم لا يثقون حتى بأنفسهم.

خطبة الفتنة

في إحدى الغزوات حصل خلاف بسيط بين مهاجري وأنصاري.

فاستغل عبد الله بن أبيٍّ الفرصة، وقال: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾، يقصد: «نحن الأعزُّ.. ومحمد وأصحابه هم الأذلُّ.. سنطردهم!». لكن الله ردَّ عليه مباشرة: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾. مالهم فتنة لا نعمة، كان المنافقون يملكون الأموال ويظنون أنها دليل رضا الله عنهم، فأنزل الله: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

وحذَّر المؤمنين: أنفِقوا قبل أن يأتي الموت ثم تندموا، ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾.

سورة المنافقون ليست عن كفار واضحين، بل عن أناس يعيشون بيننا يبتسمون أمامك ويطعنونك من الخلف. ولهذا قال النبي ﷺ عنهم: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان».

الفوائد والقيم من السورة

- لا تُخدع بالمظاهر، فالنفاق قد يستتر خلف أجمل الكلمات.
- المنافق عدو خفي وخطره أشد من الكافر.
- اغتنم وقتك في طاعة الله، فقد لا يُمهلك الموت.
- الله يعلم خفايا القلوب، فاجعل قلبك صادقًا كما لسانك.
- العزَّة في الإيمان، لا في الجاه أو المال أو الكِبر.

سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ

سورة المجادلة سورة مدنية، عدد آياتها ٢٢ آية، وبدأت بقصة امرأة جليلة جاءت تشتكي ظلم زوجها، فنزل القرآن استجابةً لها، فكان ذلك سبب تسميتها بـ«سورة المجادلة».

قصة نزول السورة ومضمونها

في المدينة، في بيتٍ صغير، وقعت حادثة تبدو عائلية بسيطة، لكنها كانت عظيمة عند الله، حتى أن السماء كلها سكنت لتستمع. امرأةٌ تُدعى خولة بنت ثعلبة، زوجها أوس بن الصامت غضب منها، فقال لها: «أنتِ عليَّ كظهر أمي». وكانت هذه الكلمة في الجاهلية تُعد طلاقًا قاسيًّا لكنه ليس صريحًا، تُحرِّم الزوجة وتُعلِّقها فلا هي مطلقة ولا هي متزوجة!

خولة شعرت بالظلم، فذهبت إلى النبي ﷺ تبكي وتشكو وتقول: «يا رسول الله أَكَلَ شبابي وأفنَيْتُ عمري معه، ثم يقول لي: أنتِ عليَّ كظهر أمي؟!».

وكان النبي ﷺ لا يملك وحيًّا في المسألة بعدُ، فصمَتَ. لكن السماء لم تصمت. الله سمعها من فوق سبع سماوات! ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾.

الله بدأ السورة بإعلانٍ عظيم

لقد سمعتُ دعاءها وشكواها وأجبتُها. فسمِّيت السورة باسمها: «المجادلة»، تكريمًا لهذه المرأة الصادقة الصابرة التي لم تسكت عن الظلم، لكنها اشتكت إلى الله.

الفوائد والقيم من السورة

- الله يسمع دعاء المظلوم حتى لو لم يسمعه الناس.
- الإسلام رفع مكانة المرأة وأبطل كثيرًا من العادات الجاهلية الظالمة.
- المجادلة بالحكمة والصدق قد تكون سببًا لنزول وحي يخلِّدُها في كتاب الله.

سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

سورة الحُجُرات سورة مدنية، عدد آياتها ١٨ آية، وهي من أعظم سور تربية الأخلاق والآداب الاجتماعية في الإسلام، وقد نزلت في عدة مناسبات متفرقة تتعلق بأدب المسلمين مع النبي ﷺ ومع بعضهم بعضًا.

قصة نزول السورة ومضمونها

كان النبي ﷺ يعيش في المدينة ومعه أصحابه من المهاجرين والأنصار وبدأ الإسلام ينتشر في القرى والبوادي، فجاء قوم من بني تميم على النبي ﷺ، وكان بعضهم ينادي عليه من خارج حجراته قائلين: «يا محمد! اخرج إلينا»!

فغضب النبي ﷺ من سوء أدبهم، لكنه سكت، لكن الله لم يسكت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

جاء في الصحيحين أن ثابت بن قيس بن شماس (وكان جهوري الصوت)، خاف أن يكون من أهل النار بسبب هذه الآية، لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾؛ الله أنزل آية تهذِّب الصوت قبل أن تهذِّب القلب.

من تطاول صوته على النبي ﷺ قد تحبط أعماله وهو لا يشعر!

ثم امتدح من التزم بالأدب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ...﴾، فصارت السورة تضع أول قواعد المجتمع الإسلامي: الأدب مع رسول الله، الاحترام في الكلام، الهدوء في الطرح.

لا تصدق كل خبر

ثم جاءت آية عظيمة في التربية العقلية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾.

النبي ﷺ أرسل الوليد بن عقبة لجمع الزكاة من بني المصطلق، فخاف منهم وعاد زاعمًا أنهم منعوه الزكاة وأرادوا قتله، فكاد النبي ﷺ أن يرسل جيشًا ضدهم، لكن الله أنزل الآية يأمر بالتثبت من الأخبار قبل اتخاذ قرار خطير.

الفوائد والقيم من السورة

- احترام النبي ﷺ فرض وليس أدبًا فقط.
- لا تصدق الشائعات حتى تتحقق.
- أصلح بين الناس ولا تُفرّقهم.
- لا تسخر، ولا تستهزئ، ولا تغتب.
- لا تتفاخر بالأنساب، بل بالتقوى.

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

سورة التحريم سورة مدنية، عدد آياتها ١٢ آية، ونزلت بسبب حادثة أسرية حصلت بين النبي ﷺ وبعض زوجاته، فجاءت السورة تُعالج الموقف وتُربي الأمة على الصدق والعدل واحترام حدود الله حتى في العلاقات الخاصة.

قصة نزول السورة ومضمونها

كان النبي ﷺ يزور زوجاته ويجامل كل واحدة بما تحب، وكان يحب العدل بينهن حبًّا عظيمًا.

وذات يوم أكل عند بعضهنّ شيئًا فيه رائحة -قيل: عسل، أو نوع من النبات- فلما دخل على السيدة عائشة لاحظت الرائحة فقالت له ممازحة: «أكلتَ مغافير؟». (نبات له رائحة غير محببة)، فحرصًا منه ﷺ على النظافة ورغبة في إرضائها قال: «لا، ولكني لن أعود إليه».

أي إنه حرَّمه على نفسه، رغم أنه حلال.

فنزل الوحي يصحِّح هذا التصرف

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾.

رسالة واضحة: حتى المحبة لا تُقدَّم على شرع الله.

إفشاء السر بين زوجات النبي ﷺ

في موقف آخر أسرَّ النبي ﷺ حديثًا إلى إحدى زوجاته -قيل إنها حفصة- فذهبت وأخبرت به عائشة. لكن الله سمع! ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾.

ثم أخبره الله بما حدث، فلما واجهها ﷺ ذُهلت، وقالت: «من أخبرك؟». قال: «نبَّأَنِي العليم الخبير».

فكانت رسالة شديدة: لا أسرار تُخترق في بيت النبوة، ولا كلام يُخرج دون إذن. والله هو رقيب البيوت قبل الناس.

توبة من فوق سبع سماوات: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾.

الله يخاطب زوجتين من زوجات النبي ﷺ بالاسم الضمني، ويطلب منهما التوبة! تأمل.. هنَّ زوجات النبي، لكن إذا زلَّت القلوب فالتوبة مطلوبة.

ثم يقول: إن لم تتوبا فربما يُطلِّقكن النبي ﷺ، ويبدله الله بخير منكن: ﴿مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ﴾. المنصب لا يشفع إذا مال القلب عن الحق.

الفوائد والقيم من السورة

- حتى النبي ﷺ يُعاتَب إذا خالف الأفضل، وهذا من عدل الله.
- العلاقة الزوجية مبنية على الصدق، والثقة، وعدم نقل الأسرار.
- لا تُحرِّم على نفسك ما أحله الله، بل التوازن هو المطلوب.
- المرأة المؤمنة تُكرَّم حتى لو كانت وسط بيئة فاسدة.

سُورَةُ التَّغَابُنِ

سورة التغابن سورة مدنية، عدد آياتها ١٨ آية، في هذه الحياة نحسب أن الغنى هو المال والقوة والنجاح الدنيوي، لكنَّ سورة التغابن تنقلك من حسابات الأرض إلى ميزان السماء.

قصة نزول السورة ومضمونها

يوم التغابن، اليوم الذي تظهر فيه الحقيقة كاملة من كان يظن نفسه رابحًا، يكتشف أنه خاسر. ومن كان يظن نفسه خاسرًا، يكتشف أنه الرابح الحقيقي: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾.

مصيبةٌ تقع، فتتبدّل الحياة

ثم تقترب السورة من الواقع اليومي: مصيبة تقع، خبرٌ موجع، خسارة، مرض، ضيق، فيسأل القلب: لماذا؟ فتأتي السورة بقانون يسكّن القلق: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

ثم تعطينا مفتاح الثبات ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ كأنها تقول: الإيمان لا يمنع المصيبة، لكنه يمنح القلب «هداية» داخلها.

الامتحان داخل البيت، الأزواج والأولاد

ثم تأتي السورة إلى اختبارٍ حساس جدًا أحيانًا يكون الابتلاء من أقرب الناس ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾.

هذه الآية نزلت في شأن عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد، فكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورققوه، وقالوا: إلى من تدعنا؟ فيرق لهم فيقعد عن الغزو، وشكا ذلك إلى النبي ﷺ فنزلت هذه الآية في شأنهم.

فالولد يكون عدوا لأبيه، والزوجة تكون عدوة لزوجها إذا تسببا في صرف الرجل عن طاعة الله أو إيقاعه في معصية الله.

ثم تُعطي قاعدة ذهبية: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾.

الفوائد والقيم من السورة

- الدنيا دار اختبار، فلا تغتر بمن تحب إن كانوا يبعدونك عن الله.
- أعظم خسارة ليست خسارة المال، بل خسارة النفس والآخرة.
- لا تجعل علاقتك بأهلك ومالك سببًا في ترك طاعة أو تأخير عبادة.

سُورَةُ الصَّفِّ

سورة الصف سورة مدنية، عدد آياتها ١٤ آية، وموضوعها الرئيسي هو الدعوة إلى الصدق في القول والعمل والحث على الجهاد في سبيل الله، وبيان موقف الأمم السابقة مع أنبيائهم.

قصة نزول السورة ومضمونها

تبدأ السورة بمشهد كوني هادئ لكنه عظيم: السماء، الأرض، ما ترى وما لا ترى... كله يسبّح لله.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

كأنها تقول: قبل أن تتكلم... تذكّر أن الكون كله في طاعة، فهل تكون أنت استثناء؟

الصدمة، لماذا تقولون ما لا تفعلون؟

ثم يأتي السؤال الذي يهزّ الضمير، كأنه مواجهة مباشرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

كانت هناك وعود تُقال بالحماس... ثم عند وقت العمل يتراجع البعض.

والسورة تريد أن تبني «أمة فعل» لا «أمة شعارات».

صفٌّ كالبنيان، الله يحب هؤلاء

ترسم السورة صورة جيشٍ مؤمن، لكن ليس جيش سلاح فقط... جيش قلوب متماسكة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾، صفٌّ لا يتكسر، ولا يتفرق، ولا تدخله الأهواء، كأن السورة تقول: النصر يبدأ من داخل الصف.

قصة موسى، حين يؤذي الناس نبيّهم

ثم تنتقل إلى لقطة مؤلمة من بني إسرائيل، موسى عليه السلام يدعوهم ويقودهم... لكن بعضهم يؤذيه بالقول والشك والتهمة. ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾، ثم تأتي العاقبة الخطيرة: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، أي: حين اختاروا الانحراف... تُركوا لظلامه.

الرسالة هنا: إيذاء الحق ليس مجرد ذنب... بل طريق لضياع القلب.

عيسى يبشّر، ورسول يأتي بعده

ثم تفتح السورة نافذة نور: عيسى عليه السلام يخاطب قومه، يثبت رسالته، ثم يبشر برسولٍ قادم، ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾، ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.

لكن المفاجأة تتكرر... يأتيهم الحق واضحًا، فيقول بعضهم: «هذا سحر!»: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

التجارة الرابحة، التي لا تخسر أبدًا

ثم تلتفت السورة إلى المؤمنين بنداء مختلف تمامًا... نداء يُشبه عرضًا عظيمًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. إنها «صفقة النجاة»: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، والربح؟ مغفرة، جنات، ونصر قريب، ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾.

كونوا أنصار الله

وتختم السورة بنداء يجعل المؤمن جزءًا من قصة الأنبياء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾، كما كان الحواريون أنصار عيسى: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾، ثم وعد الله: من نصر دينه نصره الله... وأظهر الحق على الباطل.

الفوائد والقيم من السورة

- القول دون فعل نفاق خفي، والمؤمن لا يخالف قوله عمله.
- صفوف المؤمنين كالبنيان، لا نصر بلا وحدة.
- الإسلام تجارة رابحة، لكنها تحتاج إلى تضحية وثبات.

سُورَةُ الْجُمُعَةِ

سورة الجمعة سورة مدنية، عدد آياتها ١١ آية، وموضوعها يدور حول تعظيم شأن يوم الجمعة وبيان فضل النبي محمد ﷺ، وتنبيه المسلمين إلى عدم تكرار أخطاء بني إسرائيل الذين أعرضوا عن كتبهم.

قصة نزول السورة ومضمونها

كان الناس في المدينة مشغولين بأمور الحياة، في الأسواق، وفي المزارع، وفي البيع والشراء، لكنَّ يومًا واحدًا في الأسبوع كان الله يريد أن يجمعهم جميعًا في بيتٍ واحد على قلبٍ واحد أمام الله وحده. فنزلت سورة عظيمة تُعلِّمهم معنى هذا اليوم.

يُذكر أن مشهدًا حصل زمن النبي ﷺ، كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فدخلت قافلة تجارة إلى المدينة، فترك بعض الصحابة الخطبة وذهبوا إلى السوق، ولم يبقَ إلا ١٢ رجلًا مع النبي ﷺ. أما الآخرون فآثروا التجارة على الذكر، فقال الله عنهم: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾، يا الله! تركوا النبي وهو يخطب!

فنزلت هذه الآية تُوبِّخ هذا التصرف، وتُبين أن ما عند الله خير من اللهو والتجارة.

لا تكن كالحمار يحمل العلم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾، ذمَّ الله بني إسرائيل الذين أعطاهم التوراة لكنهم لم يعملوا بها فشبههم الله بـ﴿الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾؛ أي مثل الحمار الذي يحمل كتبًا لكنه لا يفقه منها شيئًا، وهذا تحذير للمسلمين من أن يكونوا مثلهم، يحملون القرآن دون عمل.

الفوائد والقيم من السورة

- القرآن أمانة، والعمل به فريضة وليس زينة للحفظ فقط.
- خطبة الجمعة لحظة عظيمة، فلا يُنشغَل عنها بأمر دنيوي.
- الله يُذَكِّرنا بقصص السابقين لنعتبر نحن.

سُورَةُ الْفَتْحِ

سورة الفتح سورة مدنية، عدد آياتها ٢٩ آية، وقد نزلت بعد صلح الحديبية، وهو أحد أهم الأحداث في السيرة النبوية، وكان الناس يظنونه هزيمة للمسلمين، لكنه في الحقيقة كان فتحًا وتمكينًا عظيمًا.

قصة نزول السورة ومضمونها

كانت قلوب الصحابة مشتعلة بالشوق، مكة بلد الطفولة والنبوة ما زالت تحت سيطرة قريش. وقد خرج النبي ﷺ وأصحابه في السنة السادسة للهجرة قاصدين العمرة، لا القتال. فحملوا سيوفًا غير مسلولة، وقلوبًا مملوءة إيمانًا، ونفوسًا تشتاق إلى رؤية الكعبة.

في الطريق اعترضتهم قريش ومنعتهم من دخول مكة. فأرسل النبي ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه ليتفاوض معهم، فشاع خبر أن عثمان قُتِل! عندها جمع النبي أصحابه وقال: «بايعوني على الموت». فبايعوه واحدًا واحدًا تحت شجرة في الحديبية على القتال والثبات إن لزم الأمر.

إنها بيعة الرضوان، ورضي الله عنهم في قرآن يُتلى إلى يوم القيامة: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾.

صلح الحديبية.. صدمة في الظاهر

بعد مفاوضات شاقة عادت الأخبار: عثمان لم يُقتل. وجاء وفد من قريش، وتم توقيع صلح الحديبية، وشروطه كانت قاسية على ظاهرها:

لا عمرة هذا العام؛ يعود المسلمون إلى المدينة، من جاء من قريش مسلمًا يُعاد إليهم، ومن ارتد من المسلمين لا يُعاد! هدنة ١٠ سنوات.

الصحابة صُدموا؛ كيف نتنازل؟ نحن على الحق!

وعمر بن الخطاب قال: «ألسنا على الحق؟ فلمَ نعطِ الدنيَّة في ديننا؟!». لكن النبي ﷺ كان يقول بثقة: «أنا عبدُ الله ولن يُضيِّعني».

في طريق العودة من الحديبية نزلت سورة: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾.

قال الصحابة بدهشة: «أهو فتحٌ يا رسول الله؟».

قال: «نعم! والذي نفسي بيده إنه لفتح!».

وبعد أقل من عامين، فُتحت مكة بلا قتال!

بُشرى للمؤمنين

الله وعدهم: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾، الذين صبروا بايعوا وثبتوا لهم جنَّات ومغفرة ونصر.

فضح المنافقين والخذلان

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ﴾، هناك من تخلفوا عن الخروج مع النبي ﷺ خوفًا أو طمعًا، وقالوا بعد العودة: «لو كنا معكم لفزنا!»، ففضحهم الله في القرآن؛ لأنهم لم يثبتوا في وقت الاختبار الحقيقي.

الرؤيا تتحقق

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾: النبي ﷺ رأى في المنام أنه يدخل مكة مع أصحابه.

ولَمَّا صدَّتهم قريش هذا العام ظنَّ البعض أن الرؤيا لم تتحقق. لكن بعد عام واحد فقط دخل النبي ﷺ وأصحابه مكة مطوفين مطمئنين في عمرة القضاء.

الفوائد والقيم من السورة

- ليس كل ما يبدو «تراجعًا» هو خسارة، فقد يكون تمهيدًا لنصر كبير.
- الصبر والثقة بالله أساس كل نصر.
- السياسة الحكيمة قد تحقق أهدافًا أعظم من القتال أحيانًا.
- النصر الحقيقي يبدأ حين تنكسر النفس لله وتُسلِّم له.

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

سورة المائدة هي سورة مدنية، وعدد آياتها ١٢٠ آية، وهي من آخر ما نزل على النبي ﷺ، وتتميز بأنها من أكثر السور تفصيلًا في الشرائع، والعهود، والطعام، والحدود، وأحكام الحلال والحرام.

قصة نزول السورة ومضمونها

في المدينة، في السنة الأخيرة من عمر النبي ﷺ نزلت سورة عظيمة على رسول الله ﷺ وهو على ناقته، فثقلت به حتى كادت الناقة لا تتحمَّلها من عِظَم ما فيها.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «علِّموا نساءكم سورة المائدة، فإن فيها فرائضكم».

لماذا؟ لأنها سورة العهود والوصايا والمواثيق والحلال والحرام.

أوفوا بالعقود

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾: أول آية ليست عن الصلاة، ولا الزكاة، بل عن العهود.

الله يقول للمؤمنين: إن كنتم صادقين في إيمانكم فأوفوا بعهدكم مع الله، ومع الناس، ومع أنفسكم. الإسلام ليس مجرد عبادة، بل أمانة في كل وعد وكل كلمة.

الحلال والحرام في الطعام

في هذه السورة نزل تفصيل دقيق للطعام الحلال والحرام: الميتة، والدم، لحم الخنزير، ما ذُبح لغير الله، وما أهلَّ لغير الله به.

الوضوء والغُسل والتيمم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾: آية كاملة تُعلّمنا كيف نتطهَّر قبل أن نقف بين يدي الله. حتى لو لم نجد ماءً فشرع لنا التيمم.

قصة المائدة

طلب غريب من الحواريين، سُميت السورة «المائدة» لأن فيها قصة لا تُنسى:

طلب الحواريون من عيسى عليه السلام: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾؟ لم يطلبوا معجزة لِلَهْوٍ، بل قالوا: ﴿نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾.

فنزلت المائدة من السماء، لكن الله حذَّرهم: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾؛ لأن من يرى المعجزة بعينه ثم يكفر بعدها فلا عذر له أبدًا.

الفوائد والقيم من السورة

- العهود ملزمة في الإسلام، حتى مع غير المسلمين.
- لا يجوز استخدام الشعائر الدينية لأهداف عدوانية.
- آيات الله تُلزم الإنسان بالإيمان والطاعة بعدها.
- الله يُعلِّمنا الانضباط في العبادات والمعاملات.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

سورة التوبة سورة مدنية، وعدد آياتها ١٢٩ آية، وهي من آخر ما نزل من القرآن، وهي السورة الوحيدة في القرآن التي لا تبدأ بالبسملة؛ لأنها نزلت في سياق إعلان الحرب على أعداء الله والمنافقين.

قصة نزول السورة ومضمونها

في السنة التاسعة للهجرة أعلن النبي ﷺ أمرًا مهمًّا: سنتوجه إلى غزوة تبوك في أقصى الشمال لمواجهة الروم، لكنَّ الوقت كان صيفًا شديد الحرارة، والمسافة طويلة والغنائم غير مضمونة.

وهنا، بدأ الاختبار الكبير.

التمييز بين المؤمن والمنافق

نزلت السورة بدون بسملة؛ لأنها سورة الجدِّ والحسم، لا مجال فيها للتهاون.

الله قال: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾؛ أي: لا تتعلَّلوا بشيء، قوموا فورًا.

فخرج الصادقون وبقي المنافقون يتذرَّعون: «أعمالنا كثيرة!»، «الحر شديد!»، «نخاف على بيوتنا!»، «نعدكم أن نخرج في غير هذا الوقت...».

فكشفهم الله في آيات تفضحهم واحدة تلو الأخرى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ﴾؛ أي: لو كانت لدنيا لركضوا، لكن لأنها تضحية فقد تكاسلوا.

فقال الله: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾. كلهم سيختلق الأعذار بعد العودة، لكن السماء كانت ترصد كل نفس وتُحصي كل خطوة.

ثلاثة صادقون تأخروا فصدقوا، بينما كذب المنافقون، كان هناك ثلاثة من الصحابة تخلفوا بغير عذر: كعب بن مالك، مرارة بن الربيع، هلال بن أمية.

لم يكذبوا، بل قالوا بصدق: «نعم تخلفنا، ولم يكن لنا عذر». فأمر النبي ﷺ بمقاطعتهم ٥٠ يومًا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، ثم نزل الفرج: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ (فتاب الله عليهم لأنهم صدقوا).

فبكى كعب وقال: «فوالله ما أنعمني الله بنعمة بعد الإسلام أعظم من صدقي».

مسجد الضرار

المنافقون بنوا مسجدًا، لكن ليس للصلاة! بل ليكون مركزًا للتحريض والتفرقة ومهاجمة الإسلام من الداخل. فجاء الأمر الإلهي: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾، وهدمه النبي ﷺ بأمر الله.

الفوائد والقيم من السورة

- الإسلام دين سلام، لكن لا يقبل التلاعب والخيانات.
- النفاق أكبر خطر على الأمة، ويجب فضحه وكشفه.
- التوبة الصادقة ولو بعد ذنب كبير بابها مفتوح دائمًا.
- القرآن لا يجامل حتى الصحابة، بل يُربِّيهم ويحاسبهم علنًا.

سُورَةُ النَّصْرِ

سورة النصر سورة مدنية، عدد آياتها ٣ آيات فقط، وهي من أقصر سور القرآن، لكنها تحمل أعظم المعاني؛ لأنها أعلنت قرب انتهاء مهمة النبي ﷺ في الدنيا.

قصة نزول السورة ومضمونها

كان النبي ﷺ قد قضى أكثر من ٢٠ عامًا في الدعوة والجهاد، صبر على أذى قريش، هاجر، قاتل، صلَّى، وربَّى أمةً من لا شيء، ثم جاء اليوم العظيم، ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

فأنزل الله سورة قصيرة في كلماتها، لكنها كانت أبلغ من ألف خطاب: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾.

لقد تحقق الوعد، مكة فُتحت، العرب أسلموا، الأصنام حُطِّمت، الرسالة انتشرت. إنه النصر الكامل بعد رحلة طويلة من الألم.

لكن ماذا بعد النصر؟ هنا تأتي الآية الثالثة: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

يا محمد، الآن وقد تم النصر لا تنشغل بالفخر، بل اشكر، وسبِّح، واستغفر؛ لأنك يا نبيَّ الله أنهيت مهمتك، اقترب الوداع.

الرسالة التي فهمها أبو بكر

لما سمع أبو بكر الصديق هذه السورة بكى، فقالوا له: «لِمَ تبكي؟! إنها سورة نصر!»، قال: «فيها نعي رسول الله ﷺ».

فهمَ أبو بكر ما لم يفهمه كثيرون: الله قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾؛ أي إن المهمة اقتربت من نهايتها، وهذا يعني أن الرسول ﷺ سيغادر قريبًا، وبالفعل، بعد أشهر قليلة فقط من نزول السورة وقف النبي ﷺ في حجَّة الوداع، وقال: «لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا». ثم توفي بعد نزولها بأشهر.

الفوائد والقيم من السورة

- أعظم النصر أن يتم الدين ويهتدي الناس، لا مجرد الغلبة العسكرية.
- حين يأتي النصر لا يُصيبك الغرور، بل زد تسبيحًا واستغفارًا.
- من كمال التوحيد أن تختم العمل بالشكر والتوبة.
- النبوة انتهت لكن الرسالة باقية، وهي أمانة بين أيدينا.

خَاتِمَة

هنا تنتهي صفحات هذا الكتاب، لكن الأمل أن لا تنتهي آثاره، ولا يتوقف نفعه.

لقد كتبته بقلبٍ يرجو رحمة الله، وعقلٍ يسعى أن يترك أثرًا يبقى بعد أن تُطوَى صحائف العمر.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل صدقة جارية لي ولعائلتي، ينتفع به كل من قرأه أو فهم منه معنى أو اقترب به خطوة نحو القرآن، وأن يكون نورًا لنا في قبورنا، وشفيعًا لنا يوم نلقاه.

اللهم اجعل كلَّ حرفٍ فيه حسنة، وكلَّ من نشره أو قرأه سببًا لرفعة درجاتنا.

اللهم اجعل هذا العمل شاهدًا لنا لا علينا، واغفر لنا ولوالدينا ولأهلنا ولمن نحب، وارزقنا به الأجر العظيم في حياتنا وبعد مماتنا.

فإن رحلت الأجساد، تبقى الكلمات الطيبة حيَّة، وإن طُوِيت الصحف، يبقى العمل الصالح جاريًا ما دام هناك قلب يتذكر، ولسان يلهج، وعين تقرأ.

«اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا، واجعل هذا الكتاب سببًا في قربنا منك حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا».

المُحْتَوَيَاتُ

مُقَدِّمَة	٧	–
سُورَةُ الْعَلَقِ	٩	مكية
سُورَةُ الْقَلَم	١١	مكية
سُورَةُ الْمُزَّمِّل	١٣	مكية
سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ	١٥	مكية
سُورَةُ الْفَاتِحَةِ	١٩	مكية
سُورَةُ الْمَسَدِ	٢١	مكية
سُورَةُ التَّكْوِيرِ	٢٣	مكية
سُورَةُ الْأَعْلَى	٢٧	مكية
سُورَةُ اللَّيْل	٣١	مكية
سُورَةُ الْفَجْرِ	٣٣	مكية
سُورَةُ الضُّحَى	٣٧	مكية

سُورَةُ الشَّرْح	٣٩	مكية
سُورَةُ الْعَصْرِ	٤١	مكية
سُورَةُ الْعَادِيَاتِ	٤٥	مكية
سُورَةُ الْكَوْثَرِ	٤٩	مكية
سُورَةُ التَّكَاثُرِ	٥١	مكية
سُورَةُ الْمَاعُونَ	٥٣	مكية
سُورَةُ الْكَافِرُونَ	٥٥	مكية
سُورَةُ الْفِيل	٥٧	مكية
سُورَتَا الْفَلَقِ والنَّاس	٥٩	مكية
سُورَةُ الْإِخْلَاصِ	٦٣	مكية
سُورَةُ النَّجْم	٦٥	مكية
سُورَةُ عَبَسَ	٦٩	مكية
سُورَةُ الْقَدْرِ	٧١	مكية
سُورَةُ الشَّمْس	٧٣	مكية
سُورَةُ الْبُرُوج	٧٥	مكية

سُورَةُ التِّينِ	٧٩	مكية
سُورَةُ قُرَيْش	٨١	مكية
سُورَةُ الْقَارِعَةِ	٨٣	مكية
سُورَةُ الْقِيَامَةِ	٨٥	مكية
سُورَةُ الْهُمَزَةِ	٨٩	مكية
سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ	٩١	مكية
سُورَةُ قَ	٩٥	مكية
سُورَةُ الْبَلَدِ	٩٩	مكية
سُورَةُ الطَّارِقِ	١٠١	مكية
سُورَةُ الْقَمَرِ	١٠٣	مكية
سُورَةُ صَ	١٠٧	مكية
سُورَةُ الْأَعْرَافِ	١١١	مكية
سُورَةُ الْجِنِّ	١١٥	مكية
سُورَةُ يَس	١١٧	مكية
سُورَةُ الْفُرْقَانِ	١١٩	مكية

سُورَةُ فَاطِرِ	١٢٣	مكية
سُورَةُ مَرْيَمَ	١٢٥	مكية
سُورَةُ طٰه	١٢٩	مكية
سُورَةُ الْوَاقِعَةِ	١٣٥	مكية
سُورَةُ الشُّعَرَاءِ	١٣٩	مكية
سُورَةُ النَّمْل	١٤٣	مكية
سُورَةُ الْقَصَص	١٤٧	مكية
سُورَةُ الْإِسْرَاءِ	١٥٣	مكية
سُورَةُ يُونُسَ	١٥٧	مكية
سُورَةُ هُودٍ	١٦١	مكية
سُورَةُ يُوسُفَ	١٦٧	مكية
سُورَةُ الْحِجْرِ	١٧٣	مكية
سُورَةُ الْأَنْعَام	١٧٧	مكية
سُورَةُ الصَّافَّاتِ	١٨١	مكية
سُورَةُ لُقْمَانَ	١٨٥	مكية

سُورَةُ سَبَإٍ	١٨٩	مكية
سُورَةُ الزُّمَرِ	١٩٣	مكية
سُورَةُ غَافِرٍ	١٩٥	مكية
سُورَةُ فُصِّلَتْ	١٩٩	مكية
سُورَةُ الشُّورَى	٢٠١	مكية
سُورَةُ الزُّخْرُفِ	٢٠٣	مكية
سُورَةُ الدُّخَانِ	٢٠٧	مكية
سُورَةُ الْجَاثِيَةِ	٢١١	مكية
سُورَةُ الْأَحْقَافِ	٢١٥	مكية
سُورَةُ الذَّارِيَاتِ	٢١٩	مكية
سُورَةُ الْغَاشِيَةِ	٢٢١	مكية
سُورَةُ الْكَهْفِ	٢٢٥	مكية
سُورَةُ النَّحْلِ	٢٢٩	مكية
سُورَةُ نُوحٍ	٢٣١	مكية
سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ	٢٣٣	مكية

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ	٢٣٧	مكية
سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ	٢٤١	مكية
سُورَةُ السَّجْدَةِ	٢٤٥	مكية
سُورَةُ الطُّورِ	٢٤٩	مكية
سُورَةُ الْمُلْكِ	٢٥٣	مكية
سُورَةُ الْحَاقَّةِ	٢٥٧	مكية
سُورَةُ الْمَعَارِجِ	٢٥٩	مكية
سُورَةُ النَّبَإِ	٢٦٣	مكية
سُورَةُ النَّازِعَاتِ	٢٦٧	مكية
سُورَةُ الِانْفِطَارِ	٢٧١	مكية
سُورَةُ الِانْشِقَاقِ	٢٧٥	مكية
سُورَةُ الرُّومِ	٢٧٩	مكية
سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ	٢٨٣	مكية
سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ	٢٨٧	مكية
سُورَةُ الْبَقَرَةِ	٢٨٩	مدنية

سُورَةُ الْأَنْفَالِ	٢٩٥	مدنية
سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ	٢٩٧	مدنية
سُورَةُ الْأَحْزَابِ	٣٠٣	مدنية
سُورَةُ الْمُمْتَحَنَةِ	٣٠٧	مدنية
سُورَةُ النِّسَاءِ	٣١١	مدنية
سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ	٣١٣	مدنية
سُورَةُ الْحَدِيدِ	٣١٥	مدنية
سُورَةُ مُحَمَّدٍ	٣١٩	مدنية
سُورَةُ الرَّعْدِ	٣٢٣	مدنية
سُورَةُ الرَّحْمَنِ	٣٢٧	مدنية
سُورَةُ الْإِنْسَانِ	٣٢٩	مدنية
سُورَةُ الطَّلَاقِ	٣٣٣	مدنية
سُورَةُ الْبَيِّنَةِ	٣٣٧	مدنية
سُورَةُ الْحَشْرِ	٣٤١	مدنية
سُورَةُ النُّورِ	٣٤٥	مدنية

سُورَةُ الْحَجِّ	٣٤٩	مدنية
سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ	٣٥٣	مدنية
سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ	٣٥٧	مدنية
سُورَةُ الْحُجُرَاتِ	٣٥٩	مدنية
سُورَةُ التَّحْرِيم	٣٦١	مدنية
سُورَةُ التَّغَابُنِ	٣٦٥	مدنية
سُورَةُ الصَّفِّ	٣٦٧	مدنية
سُورَةُ الْجُمُعَةِ	٣٧١	مدنية
سُورَةُ الْفَتْحِ	٣٧٣	مدنية
سُورَةُ الْمَائدَةِ	٣٧٧	مدنية
سُورَةُ التَّوْبَةِ	٣٨١	مدنية
سُورَةُ النَّصْرِ	٣٨٥	مدنية
خَاتِمَة	٣٨٧	-